AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01027 3682

02-86168
Ref Ds 12

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

al-Hakim, Tawfiq
PJ
7828
H52
M255

توفيق الحكيم

الملك أوديب

سوفوكليس

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية
٦ سكة السباتورى بالحلمية الجديدة

OCLC
24176452

B1792498
13112120

88/2
S960

28575

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى اللغة العربية

محمد

الطبعة الأولى .
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)
الطبعة الثانية :
(مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)

شهر زاد

الطبعة الأولى :
(مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

أهل الكهف

الطبعة الأولى :
(مطبعة مصر عام ١٩٣٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٣)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٤٠)
الطبعة الرابعة :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)
الطبعة الخامسة .
المطبعة النموذجية عام ١٩٤٨)

عودة الروح
فى جزأين

الطبعة الأولى :
(مطبعة الرغائب عام ١٩٣٤)
الطبعة الثانية :
(مطبعة المعارف عام ١٩٤٦)

أهل الفن

(مطبعة دار الهلال عام ١٩٣٤)

مسرحيات توفيق الحكيم

المجلد الأول : ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر الجنون ، رصاصة فى القلب ، جنسنا اللطيف .
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

القصر المسحور
بالاشتراك مع الدكتور طه حسين بك
(مبطعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

مسرحيات توفيق الحكيم
المجلد الثانى : ويشمل قصص : الخروج من الجنة أو الملهمة . أمام شباك التذاكر . الزمار . حياة تحطمت .
(مبطعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب فى الأرياف
الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)
الطبعة الثانية لحساب وزارة المعارف العمومية
(مبطعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر عام ١٩٣٧)

عصفور من الشرق
الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)

تحت شمس الفكر
الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثالثة : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

تاريخ حياة معدة
الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٥)

عهد الشيطان
الطبعة الأولى :
(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

پراكسا
أو
مشكلة الحكم
(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)

راقصة المعبد
الطبعة الأولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٣٩)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)

نشيد الأنشاد
(مطبعة مصر عام ١٩٤٠)

حمار الحكيم
الطبعة الأولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٠)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

تابع الكتب التى نشرت فى اللغة العربية

سلطان الظلام
الطبعة الأولى .
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

من البرج العاجى
(مطبعة التوكل عام ١٩٤١)

تحت المصباح الأخضر
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)

بجماليون
الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٢)
الطبعة الثانية : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

سليمان الحكيم
الطبعة الأولى : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية : (المطبعة النموذجية عام١٩٤٩)

زهرة العمر
الطبعة الأولى :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٣)
الطبعة الثانية :
(مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

رصاصة فى القلب : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٤)

الرباط المقدس : (مطبعة سعد مصر عام ١٩٤٤)

حمارى قال لى : (مطبعة المعارف عام ١٩٤٥)

شجرة الحكم : (مطبعة التوكل عام ١٩٤٥)

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد

ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليكونت عضو الأكاديمية الفرنسية .
وترجم الى الانجليزية ونشرت مختارات منه فى دار النشر (بيلوت) بلندن ، ثم فى دار النشر (كراون) بنيويورك . فى ١٩٤٥

عودة الروح

ترجم ونشر بالروسية فى ليننجراد عام ١٩٣٥
وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧
وبالانجليزية ونشرت مختارات منه فى لندن عام ١٩٤٢

يوميات نائب فى الأرياف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور حافظ عفيفى باشا . (طبعة أولى)
وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية)
وترجم ونشر باللغة العبريه عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الانجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ . وترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨

أهل الكهف

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية
ثم ترجم إلى الايطالية بروما عام ١٩٤٥

عصفور من الشرق

ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

مقدمة

« الأدب التمثيلى » باب لم يفتح فى اللغة العربية إلا فى العصر الحاضر . . وقد تردد « الأدب العربى » فى قبول هذا اللون الغريب عليه . . فتركه زمناً خارج جدرانه . . يسمع بأمره من أفواه النظارة ، دون أن يحفل بالالتفات إليه أو الخوض فيه . . لقد وجد منذ نحو قرن فى بعض البلاد العربية كسوريا ولبنان ومصر نوع من المسارح ، يمتزج فيه الجد بالهزل والتمثيل بالغناء . . وقد نقلت إليه بعض قصص الغرب ، نقلا تاماً وغير تام . تعرض فى ثوبها الأصيل أو فى ثوب يناسب الشرق . أحياناً فى لغة فصحى ، وأحياناً فى لغة تلائم أفهام العامة . . وكان المنبع الذى يستقى منه المسرح فى ذلك الوقت هو الأدب الفرنسى والأدب الانجليزى ، فرأينا البخيل لموليير تعرض بالزجل . ورأينا « روميو وجوليت » لشكسبير تعرض بالألحان . .

كان مبدأ المسرح العربى فى الشرق كما هو معروف « مارون النقاش » ثم تبعه خلفاؤه « القرداحى وأبو خليل القبانى . . . الخ . » إلى أن حمل لواءه « الشيخ سـلامه حجازى » . . وولى هو الآخر وورثه برواياته وألحانه « أسرة عكاشة » فمضوا فى خطته . . ولكن الثورة المصرية وانبثاق الروح القومية دفعتهم إلى الالتفات نحو تمصير رواياتهم . فى ذلك الوقت بدأ كاتب هذه السطور حياته المسرحية مؤلفاً لتلك الفرقة بعض الروايات على النحو الذى كان العمل عليه جاريا فى تلك الأيام . . . كل هذا كان يحدث ، دون أن يطمع أحد من كتاب المسرح فى أن يسمى عمله أدباً . . ودون أن يلتفت الأدب العربى إلى اعتبار هذا النوع من الكتابة أدباً من قريب أو بعيد . ودفع (شوقى) بعدئذ برواياته إلى المسرح . . فكان لها نجاح عند النظارة . . ولكنه لم يفكر هو أيضاً فى طبعها قبل التمثيل . . ولم يقدر لها وجوداً مجيداً بعيداً عن أنوار المسرح . . فالقصيدة التى كان يدفع بها إلى الصحف السيارة . . أو إلى المطبعة ضمن ديوان ، كانت وحدها المعدة فى رأيه للدخول ظافرة إلى قصر الأدب تعنو لها رؤوس الأدباء . . . فالحاجز إذن بين عالم المسرح

وعالم الأدب كان من الأمور التى تحير العقول وتحتاج فى تفسيرها إلى تعليل .

ورحل كاتب هذه السطور إلى أوروبا فى تلك الأثناء . . . وهناك انكشف له السر المحير ، وما احتاج إلى عناء كبير فى العثور على مفتاح العلة . . . إن عالم المسرح فى أوروبا وعالم الأدب مندمجان متداخلان ، لا فاصل بينهما ولا حاجز والسبب فى ذلك واضح هو أن القصة التمثيلية فرع من الأدب ، تدرس فى المعاهد والجامعات على أنها أدب قبل أن يدفع بها إلى المسرح . فقد ورثت أوروبا هذا الأدب عن الأغريق ، وبحثته ودرسته وعلى اساسه بنت ونسجت . . . فهو جزء من آدابها القومية . نشأ وترعرع على مر القرون . مثل أو لم يمثل فهو كائن بذاته ، شأنه شأن علوم المنطق والرياضة والفلسفة التى انحدرت إليها من عهد اليونان . لذلك لم يجد كاتب هذه السطور بدآ من أن يبدأ من البداية وأن يرجع إلى المنبع ، عندما أراد دراسة الأدب المسرحى . . .

لقد كان يظن الأمر هينا والطريق ميسراً ، يبدأ من حيث

شاء . ويتوفر على هذا الأدب المسرحى الحديث الذى لا يكلف فى درسه عناء ولا يحمل فى فهمه مشقة . . . قالوا له هناك : اذا كنت جاداً فعد إلى الأغريق ! . . وعاد الى اشيل وسوفوكل وايروبيد وأرستوفان . . وهنا أدرك لماذا يحتفل الأدب العربى بالقصيدة ولا يعترف بالرواية التمثيلية ، حتى وان كانت شعراً . لأن القصيدة هى ميراثه منذ القدم . كما أن الشعر التمثيلى هو ميراث الأدب الغربى منذ القدم . . . ما من شىء أقوى من الميراث ! . . اذا كان للخلود يد فان الميراث يده ، التى ينقل بها الكائنات من زمان إلى زمان . . . ما طبائع الأفراد وخصائص الشعوب ومقومات الأمم إلا ميراث صفات وسمات تنحدر من جيل إلى جيل . وان ما يسمونه العراقة فى شعب ليس الا فضائله المتوارثة من أعماق الحقب ، وان الأصالة فى الأشياء والأحياء هى ذلك الاحتفاظ المتصل بالمزايا الموروثة كابراً عن كابر وحلقة بعد حلقة . . . هكذا يقال فى شعب أو رجل أو جواد . وكذلك يقال فى فن أو علم أو أدب . . . عراقة الأدب هى طابعه المحفوظ المنحدر إلينا من بعيد . لقد ارادت امريكا

أن تختزل الطريق فى فن الموسيقى . . . فابتدعت ذلك النوع من موسيقى الزنوج المسمى « بالچاز » فأخفقت فى حمل العالم المثقف على تبجيل هذه الموسيقى التى لا أصل لها يوقر ولا نسب يحترم ولو لم تكن لغتها هى الانجليزية لكان لآدبها أيضاً هذا المصير . . . ولكن الأدب الأمريكى ما استطاع أن يكون أدبا إلا لارتكازه على التراث المعترف به من الأدب الانجليزى . فما هو فى حقيقة الأمر الا غصن حديث النبت فى دوحة الآداب السكسونية.

الأدب العربى اذن كغيره من الآداب العريقة لا يقبل العبث بدمه وطابعه ، دون بحث وتمحيص وحذر واحتياط . . . وهو عندما وقف فى القرن الأخير هذا الموقف الحذر من المسرح ، لم يكن فى ذلك ملوماً ولا كان متجنياً . فإن الطريقة التى ظهر بها المسرح فى الشرق العربى لم تكن على اساس يمكن تسويغه فى نظر ذلك الأدب العريق . ولو أنه قام فينا منذ قرن أو قرنين أديب ينادى متسائلا :

« أيها الأدب العربى . . . لقد كان بينك من قديم وبين الفكر الأغريقى وشائج وصلات . لقد نظرت فيه واخذت مما عنده من

علوم وفلسفة ، ولكنك اشحت بوجهك عما عنده من شعر . . . إلام هذه القطيعة ؟ ومتى يتم الصلح بينك وبين الشعر الأغريقى ؟ أنظر فيه قليلا . . . واسمح بنقله وبحثه . . . فربما وجدت عنده ما يدعم تراثك وينمى للأجيال القادمة ميراثك ! . . .

هذا الصوت لم يرتفع فى القرون الماضية . . . وظلت القطيعة بذلك قائمة بين الأدب العربى والأدب الأغريقى . . . وباستمرار هذه القطيعة تعذر على المسرح أن يقوم على أساس وطيد . . . وأن يجد مكاناً لدينا فى أروقة الأدب والفكر والثقافة . . .

لا بد اذن من الصلح بين الأدبين ، إذا اردنا من الأدب العربى ان يقر فى تاريخه العريق هذا القالب التمثيلى من الشعر أو النثر إقرارا له قيمة وبقاء . . . ولكن . . . كيف يكون الصلح ؟ . . .

لا بد قبل كل شىء من أن نعرف أسباب النفور . . . لنسعى بعدئذ فى التوفيق ، ونأتى بوسائل الوفاق . . .

قبل كل شىء ينبغى لنا أن نتساءل : على من تقع تبعة الإحجام عن نقل الشعر الأغريقى إلى اللغة العربية ؟ . . وهذا

السؤال يجرنا إلى البحث فى طريقة نقل التراث الأغريقى وموجباته وموحياته. المعروف أنه عقب فتوح الأسكندر تغلغل الروح اليونانى فى آسيا. وكانت سوريا وما بين البحرين (دجلة والفرات) من أهم المناطق التى خضعت لنفوذ الحضارة الأغريقية . . . هناك فى صوامع نساك السوريين المنتشرة فى تلك البقاع، نشطت على مدى القرون حركة ترجمة واسعة للمؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى اللغة السريانية . . من هذه الترجمات السريانية جاء العرب بعدئذ ونهلوا ونقلوا . . . إذا كان هذا القول صحيحاً فإن على العرب أن يقولوا إنهم نقلوا ما وجدوا . . . ولم يكن الشعر من بين ما عنى به أولئك الرهبان . . . ولكن الذى حدث هو أن كثيرين من العرب تعلموا بعد ذلك اليونانيه، واستطاعوا أن ينقلوا عنها مباشرة . . . وكان مما نقل منها إلى العربية كتاب الشعر أو « البويطيقا » لأرسطو . . وفيه تعريف بالتراجيديا والكوميديا وما إليهما من فنون الشعر التمثيلى . . وجاء « ابن رشد » فدلنا بتعليقاته المشهورة على كتاب « البويطيقا » ان العرب ما أرادوا عامدين أن يوصدوا الذهن دون العلم بفن الشعر عند الأغريق . . .

كيف إذن لم يدفعهم الفضول بعدئذ إلى نقل بعض ألوان التراجيديا أو الكوميديا إلى العربية ؟ . . من المفهوم أن يقعدوا عن نقل شعر غنائى مثل شعر « بندار » أو « أناكريون » ، فى الشعر العربى الجاهلى أو العباسى ما يضاهى ذلك اللون . . ولكن لماذا ، وهم على ما نعرف من حب الأطلاع ، لم يقدموا على ترجمة مآسى شعراء الأغريق ؟ ! . الجواب عن ذلك يقتضى أولاً أن نعرف ما هى « المأساة » ؟ وكيف نشأت فى اليونان ؟ . . لم يبق شك اليوم فى أن « التراجيديا » قد نتجت عن عبادة « باكوس » إله الخمر المعروف عند الأغريق باسم « ديونيزوس » . فى كل ربيع كانت تقام لهذا الاله حفلات دينية ، صاخبة بالنشوة ، فياضة بالمرح . . يرقص الناس فيها ويغنون حول تمثال إله الخمر ، وهم متنكرون فى جلود الماعز ، وأوراق الشجر . . وكان هذا الرقص والغناء فى مبدأ الأمر مرتجلاً . . فإذا مر الزمن بعد ذلك يهذب من شأنهما . . وإذا الناس يضعون هذا الرقص وهذا الغناء على أسس من الأعداد والتنسيق ، ويؤدونها طبقا لقواعد محدودة الأركان . وما لبث ذلك الغناء أن امتزج به نوع من التنويه بأعمال ذلك الأله

على صورة سرديلق ، مشيداً بفتوحاته ومغامراته ورحلاته العجيبة. ثم تطور الأمر بجوقة الراقصين من الناس إلى أن صاروا ينوعون فى ثياب تنكرهم . . ويمثلون ألوانا أخرى من « الشخصيات » غير الماعز والحيوانات . . وتطور السرد أيضاً فصار يعنى بأشياء أخرى لا صلة لها بحياة الاله الذى يحتفلون بأعياده . . حتى ضج الرجعيون والمحافظون من الشيوخ لهذه البدعة فقالوا : « ما فى هذا شىء لباكوس ! » وصارت هذه الجملة بعد ذلك مثلاً فى اللغة اليونانية.. ولكن من هذه البدعة التى أثارت النقد والغضب خرج الفن المسرحى . . . فلم يمض قليل حتى ظهر رجل يدعى « تسبيس » قاده تفكيره إلى أن يؤلف ما ينبغى أن يوضع على لسان الجوقة المنشدة ، وعلى لسان ممثل واحد يحاور الجوقة وتحاوره . . وجد لهذا الممثل أقنعة وملابس مختلفة . . فاستطاع بذلك أن يتقمص بمفرده شخصيات عدة . .

على هذا النحو انتقل الأمر من مرحلة السرد الى مرحلة الحوار والحركة . . . وهنا ولدت التمثيلية ووجدت التراجيديا . . . وجاء بعد « تسبيس » شاعر يدعى « فرينيكوس » سار خطوة أخرى

بهذا الفن . . . فقد قيل انه أول من أدخل شخصيات النساء فى التمثيل . . . وانه جعل الجوقة تنقسم إلى قسمين ، يستطيع أحدهما ان يحاور الممثل بلهجة الرضا عن اعماله . . . والآخر بلهجة السخط والنقد . . . كما لو كانت الجوقة بقسميها الناس فى المجتمع ، بينهم المؤيد لما يرى من أعمال وبينهم المعارض . . . ويذكر لنا التاريخ أيضاً شاعرين معاصرين لذلك الشاعر هما : « كيريلوس » و « براتيناس » قام كل منهما بنصيب فى تحسين هذا اللون من الفن . اولئك جميعاً كانوا هم الممهدين لظهور أساتذة التراجيديا العظام : إشيلوس وسوفوكلس وايروبيدس ! . . .

تلك إشارة سريعة إلى نشأة الشعر التمثيلى فى اليونان . . . منها بالمرخرى أن عبادة « باكوس » هى أم التراجيديا . . . لقد انسكب هذا متنكا الفن لنا اذن كما ينسكب الخمر . . من دنّ الدين ! . . . هكذا مضى شعراء التراجيديا العظام ينسجون آثارهم الخالدة من أساطيرهم الدينية . . من « الميثولوجيا » ، ويودعونها روح الصراع بين الإنسان والقوى الألهية . . أترى هذه الصبغة الدينية هى التى صدت العرب عن اعتناق هذا الفن ؟ . .

هذا رأى جماعة من الباحثين .. فهم يزعمون أن الإسلام هو الذى حال دون اقتباس هذا الفن الوثنى .. إنى لست من هذا الرأى.. فالإسلام لم يكن قط عسيراً على فن من الفنون .. فقد سمح للناقلين أن يترجموا كثيراً من الآثار التى انتجها الوثنيون .. فهذا كتاب « كليلة ودمنة » الذى نقله ابن المقفع عن اللغة الفهلوية... وهذا كتاب « الشاهنامة للفردوسى » الذى نقله البندارى عن الفرس فى عهدهم الوثنى... كما أن الإسلام لم يحل دون ذيوع خمريات أبى نواس ، ولا دون نحت التماثيل فى قصور الخلفاء .. ولا دون براعة التصوير فى « المنياتور » الفارسى .. كما أنه لم يحل دون نقل كثير من المؤلفات اليونانية التى جاء فيها ذكر لتقاليد وثنية .. كلا ليست صفة الوثنية فى ذاتها هى التى صرفت العرب عن الشعر التمثيلى .. ما الذى أحجمهم إذن .؟ أتراها صعوبة فهم ذلك القصص الشعرى ، وكله يدور حول أساطير ، لاسبيل إلى فهمها إلا بشرح طويل ، يذهب بلذة المتتبع لها ، ويقضى على متعة الراغب فى تذوقها ؟.. ربما كان فى هذا التعليل شىء من الصواب ، فلقد أدهشتنى عبارة للناقد « فرانسسك سارسى » ينصح بها النظارة ، عندما مثلت « اوديب الملك » على

مسرح الكوميدى فرانسيز فى عام ١٨٨١ .. وهى المأساة التى أعتبرها أنا من أقل مآسى اليونان غرقاً فى الميثولوجيا الدينية .. واكثرها وضوحاً ونقاء .. وأقربها إلى النفس فى انسانيتها المجردة.

قال الناقد :

« أنصح للنظارة لاسيما النساء منهم أن يفتحوا كتاباً أو معجما فى الميثولوجيا الأغريقية يطالعون فيه قبل مشاهدة تمثيل الرواية .. ملخص أسطورة أوديب ، فإن هذا يجنبهم سأم التوه والضلال فى ظلمات الفصل الأول . . » هذه النصيحة تساق إلى من ؟ . . إلى جمهور أمة أقامت ثقافتها على أساس التراث الأغريقى . . جمهور قد عرف أكثره مقاعد الدرس .. حيث لقن ولا شك فيما لقن آداب اليونان بمآسيها وملاهيها .. إذا كان مثل ذلك الجمهور فى مثل ذلك العصر الحديث لم يزل فى حاجة إلى ملخص أو معجم لمتابعة مأساة (أوديب) .. فما بالنا بالقارىء العربى فى العهد العباسى أو الفاطمى ؟ . .

لكن . . على الرغم من وجاهة هذا التعليل فأنى لا أعتقد أن هذا أيضاً يحول دون نقل بعض آثار هذا الفن . . فإن كتاب

(الجمهورية) لأفلاطون قد ترجم إلى العربية ، وما أشك أن فيه من الأفكار حول تلك المدينة المثالية ما يشق على العقلية الاسلامية أن تسيغه .. ولكن ذلك لم يمنع من نقله .. بل ان هذه الصعوبة بالذات قد دفعت (الفارابى) إلى أن يتناول (جمهورية) أفلاطون ، فيضفى عليها ثوباً جديداً من خواطره ، ويصبها فى قالب عقليته الفلسفية الاسلامية ..

مثل هذا كان يصح أن يحدث للتراجيديا الأغريقية .. كان فى الأمكان أن تنقل مأساة مثل (أوديب) ثم يتناولها بعدئذ شاعر أو ناثر ، فيطرح عنها ما يشق فهمه من الأشارات الميثولوجية ، ويجردها مما يغلقها من العقائد الوثنية .. ويبرزها واضحة جلية فى بدنها الانسانى العارى .. أو يلقى عليها ثوباً شفافاً من العقيدة الاسلامية أو التفكير العربى .

لماذا لم يتم ذلك ؟. لأن هنالك سبباً آخر ولاريب هو الذى صد العرب عن اقتباس المسرح الأغريقى .. لعل السبب هو أن التراجيديا الأغريقية ما كانت حتى ذلك الحين تعتبر أدباً معداً للقراءة .. إنها لم تكن وقتئذ شيئاً مما يقرأ مستقلاً كما تقرأ جمهورية (أفلاطون)

فقد كانت تكتب لا للمطالعة بل للتمثيل .. وكان المؤلف يعرف أن عمله سيعرض على الناس ممثلا فى مسرح . . فكان يجرد نصوصه وحواره من الشروح والملاحظات والمعلومات اللازمة للأحاطة بجو القصة .. اعتماداً منه على أن المشاهد سوف يدركها ببصره قائمة ماثلة عند الأخراج .. وفى الحق لقد بلغ المسرح الأغريقى حداً من الدقة والتعقيد فى آلاته وأدواته يثير الدهش .. فكان فيه من الآلات التى تتحرك وتدور حول نفسها ، ومن الحيل والوسائل المسرحية ، ما مكن أولئك القوم من إخراج (بروميثيوس المقيد) للشاعر إشيل بما فيها من عرائس البحر وهى تخطر خلال السحب (والمحيط) وهو قادم ممتطيا ظهر ذلك الحيوان الخرافى . الذى له رأس نسر وجسم جواد !.

لعل هذا مما جعل المترجم العربى يقف حائراً أمام التراجيديا ! فهو يقلب بصره فى نصوص صماء ، يحاول أن يقيمها فى ذهنه نابضة متحركة باشخاصها وأجوائها وأمكنتها وأزمنتها .. فلا يسعفه ذلك الذهن .. لأنه لم ير لهذا الفن مثيلا فى بلاده .. إن (الجوقة) عند الأغريق هى التى خلقت التمثيل . . والممثل (تسبيس) هو الذى

خلق التمثيلية .. لم تخلق الرواية المسرح .. ولكن المسرح هو الذى خلق الرواية !.. وما دام المترجم العربى قد أيقن أنه امام عمل لم يجعل للقراءة .. ففيم ترجمته إذن ؟.

لعل هذا هو علة الأحجام عن نقل الشعر التمثيلى اليونانى إلى اللغة العربية .. لقد كانت حركة ترجمة الآثار الأغريقية مقصوداً بها حصول النفع .. لا مجرد حب الاطلاع . أو مجرد الفضول .. وقد انتفى النفع فى هذه الحالة .. لما فى التراجيديا من معان ومرام لا تبلغ ولا تنال بالمطالعة وحدها .. كان لابد لابرازها من أداة التمثيل .. وهو شىء غير موجود ولا مألوف .

على أن السؤال الذى يجب أن يلقى بعدئذ هو : لماذا لم يوجد التمثيل فى الحضارة العربية ولم يعرف ؟ . لقد كان للعرب هم أيضاً عهدهم الوثنى .. وكان من شعرائهم فى ذلك العهد من قيل إنه ذهب إلى بلاد قيصر .. مثل امرىء القيس .. هناك رأى ولاريب مسارح الرومان قائمة شامخة ، وقد ورثوا هذا الفن عن اليونان .. أما استطاعت رؤية المسرح أن توحى إلى الشاعر العربى الوثنى بفكرة اجتلابه أو نقله أو اقتباسه ؟..

نقله إلى أين ؟.. هنا المشكلة .. إن الوطن الذى ينقل إليه هذا الفن ، الشاعر العربى الوثنى ، لو أراد ، ليس سوى صحراء ، واسعة ، كالبحر ، تسعى فيها الأبل كالسفن ، هائمة بركبها من جزيرة إلى جزيرة هى واحات متناثرة ، تتفجر بالماء اليوم وتونع بالنبت ، ليغيض نبعها فى الغد ، وتذبل خضراؤها .. وطن متنقل على ظهور القوافل يجرى هنا وهناك خلف قطرة غمام !.. وطن يهتز فوق الأبل فى سيرها الطويل ، اهتزازاً متصلا منغما متزناً ، يغرى الركب بالغناء... من هاهنا ولد الشعر العربى : نشأ من الحداء . . عندما رفع الماسك بزمام الجمل الأول عقيرته منشداً ، على وقع تلك الموسيقى الخفية الخافتة ، المنبعثة من وطء أخفاف الجمال على الرمال .

كل شىء إذن فى هذا الوطن المتحرك كان يباعد بينه وبين المسرح .. لأن المسرح يتطلب أول ما يتطلب : الاستقرار .

افتقار العرب إلى عاطفة الاستقرار هو فى رأيى السبب الحقيقى لأغفالهم الشعر التمثيلى الذى يحتاج إلى المسرح . . فإن مسرح (باكوس) الذى كشفت عن آثاره أعمال الحفر فى العصر الحديث كان بناء متيناً راسخاً ، ومؤسسة ملكا للدولة . . ومن يطلع على

ضخامة ذلك البناء فى آثاره أو رسومها .. وما كان يتسع له من آلاف المشاهدين ، يحكم من الفور بأن هذا أمر لابد له من مدنية مستقرة ، وحياة اجتماعية موحدة مكتلة .. ولكن .. أما من حق باحث أن يعترض قائلا : لقد عرف العرب فى الدولة الأموية والدولة العباسية وما بعدهما تلك المدنية المستقرة وذلك المجتمع الموحد المتكتل . فما بال العرب فى تلك العهود انصرفوا عن تشييد المسرح وهم على ذلك قادرون ، بينما رأيناهم يمرون بالحضارات المختلفة ، فيقتبسون من فن عمارتها ، ما أقاموا به فناً للعمارة رائعاً يحمل طابعهم الجديد ؟!.. الجواب عن ذلك بسيط : هو أن العرب فى الدولة الأموية وما بعدها ظلوا يعتبرون شعر البداوة والصحراء مثلهم الأعلى الذى يحتذى ، وينظرون إلى الشعر الجاهلى نظرتهم إلى النموذج الأكمل الذى يتبع .. فهم قد أحسوا فقرهم فى العمارة ، ولم يحسوا قط فقرهم فى الشعر .. وهم عندما أرادوا أن ينقلوا عن غيرهم وينهلوا ذهبوا كل مذهب ، ونظروا فى كل فن .. إلا فن الشعر الذى اعتقدوا أنهم بلغوا فيه الغاية منذ القدم .. وهكذا نرى أنفسنا

أمام دائرة مفرغة تدور بأسباب تحول كلها دون اقتراب العرب من التمثيل . .

لكن .. أكان من الضرورى للأدب العربى أن توجد فيه (التراجيديا) ؟.. وهل كانت (التراجيديا) لوناً لازماً لتطور الأدب العربى واكتمال شخصيته ؟!.. من يطلع على مقدمة (كروموبل) المشهورة لفكتور هوجو يجد بعض الجواب : إنه يقسم تاريخ البشرية إلى ثلاثة عهود : العهد الفطرى وهو فى رأيه عهد الشعر الغنائى .. وعنه يقول : فى العهود الفطرية ينشد الانسان كأنه يتنفس .. فهو فى عهد فتوته .. صداح بالغناء .. الخ .. ثم يأتى العهد القديم وهو عهد الملحمة .. فقد تطورت القبيلة وصارت أمة . وحلت غريزة المجتمع محل غريزة التنقل .. تكونت الأمم وعظم شأنها ، واحتك بعضها ببعض ، وتصادمت فتحاربت .. هنا الشعر ينهض ليروى ما وقع من أحداث ، ويقص ما جرى للشعوب وما حل بالامبراطوريات !.. وأخيراً يأتى العهد الحديث وهو عهد التمثيلية .. وهى فى نظره (الشعر الكامل) لأنها تحوى فى جوفها كل الأنواع .. فيها بعض من الغناء وبعض من الملاحم .. ولنصغ

إليه وهو يلخص فكرته بقوله : « إن المجتمع البشرى يدرج ويشب متغنيا بأحلامه ، ثم يأخذ بعدئذ فى سرد أعماله ، ثم يعمد آخر الأمر إلى تصوير أفكاره !. » ويدعونا هوجو إلى امتحان مذهبه فى كل أدب من الآداب على حدة ، مؤكدا لنا أنا واجدون فيها كلها مصداقاً لهذا التقسيم .. فشعراء الغناء عنده يسبقون دائما شعراء الملاحم ، وشعراء الملاحم ، يسبقون شعراء التمثيل ..

أترى هذا المذهب صالحاً للتطبيق على الأدب العربى ؟.. فى رأيى أنه يصلح لو تغاضينا عن (القوالب) ، واقتصرنا فى بحثنا على (الأغراض) .. ما من شك فى أن الشعر العربى قد تغنى بالأحلام ووصف الحروب ، وصور الأفكار .. دون أن يغير فى طريقته أو يخرج عن قالبه أو ينحرف عن أوضاعه .. وسلك فى هذا السبيل عين الترتيب الذى أورده هوجو .. ففى العصر العباسى وحده ، نجد البحترى قبل المتنبى ، والمتنبى قبل أبى العلاء .. ولو غرس هؤلاء الشعراء فى أرض اليونان .. لكان البحترى (صناجة العرب) هو (بندار) .. ولكان المتنبى الذى دوى فى آذاننا على مدى الأجيال بصليل السيوف هو (هومير) .. ولكان أبو العلاء الذى صور لنا

التفكير فى الانسان ومصيره والملأ الأعلى هو (إشيل) !. فالتطور اذن من حيث (الموضوع) قد تم . ولكن التطور من حيث (الشكل) حالت دون اتمامه تلك الظروف التى لابست نشأة الدولة العربية .. ظروف ، كما رأينا ، لاتنافى عقلية العرب ، ولا تعارض طبيعتهم الفنية .. ولكنها استطاعت على كل حال ، فى تلك المرحلة من تاريخهم أن تقصيهم، على رغمهم ، عن هذا الفن من فنون الأدب.

ليست هنالك اذن خصومة أصيلة بين اللغة العربية والأدب التمثيلى .. إنما هو نوع من التباعد المؤقت ، مرجعه الافتقار إلى الأداة .. شأن العرب هنا شأنهم يوم كانوا لايعرفون من المطايا غير الأبل .. لو أن الظروف شاءت أن تحرمهم الجواد ، لظلوا حتى الساعة لايعرفون ركوبه .. ولكن ما إن دخل الجواد الصحراء ، حتى غدا العرب فرسانه .. حذقوا فنون تربيته ، وفنون الحديث عنه .. فإذا سئل اليوم عن الجواد الأصيل ، فى أرجاء العالم ، قيل هو الجواد العربى . وإذا أريد وصف رائع لخصال الخيل ، فلن يوجد إلا فى الشعر العربى ..

كل الأمر إذن فى (الأداة) .. وكما أن العرب فى عهد الأبل

كان لسان حالهم يقول : (اعطونا الجواد ونحن نركب !.) فانهم كذلك قد يقولون : (أعطونا المسرح ونحن نكتب !..)

وما من ريب فى أن العالم اليوم قد تغير .. وأصبح المسرح (بمعناه الواسع) ضرورة من ضرورات الحياة الحاضرة .. ليس وقفاً على طبقة دون طبقة . . فهو الغذاء اليومى لأذهان الناس ، يختلف دسمه باختلاف ثقافاتهم .. ولكنه فى آخر الأمر هو أداة الفن الشائعة فى مشارق الأرض ومغاربها .. واعنى بالمسرح هنا كل فن يرمى إلى تصوير الأشياء والأشخاص والأفكار على خشبة أوشاشة أوموجة أو صفحة . . بأن يقيمها حية تتحادث وتتحاور وتبرز مكنون سرها وفكرها أمام الناظر أوالسامع أو القارىء ..

هذا الأسلوب العالمى فى عرض الأفكار عرضاً حياً فى صورة (تمثيل) لم يعد إلى تجاهله من سبيل .. وحيثما ذهبنا اليوم فى بلاد (الضاد) وجدنا دوراً شاهقة سامقة مزخرفة هى أفخم دور مدننا بناء : تلك هى (المسارح) .

وجد لدينا (المسرح) إذن أى الأداة .. واصبح فى حياتنا العربية من حاجاتنا الضرورية ، كالخبز والماء .. وفى كل يوم تتسع

رقعة العمل أمام هذه (الأداة) التى تسمى (التمثيل) . حتى أمست بعد انتشار (الأذاعة) غذاء يومياً يدخل كل بيت . . كل هذا كان يجب أن يبلغ أسماع الأدب العربى العريق . . وأن يحمله على الالتفات إلى هذا الفن ، واقرار أسسه بين مناهجه وأبوابه . . وأغلب ظنى أن الأدب العربى توّاق إلى ذلك . . فما هو بالأدب الميت ولا بالأدب الجامد . . ولكن ما الوسيلة ؟ . . إنه لا يستطيع أيضاً أن يفتح فى هيكله النبيل باباً ، ويقر فيه فناً ، على غير دعائم . فما هو بالأدب العابث ولا بالأدب الدخيل . . أولئك الذين حافظوا على الأنساب فى الآدميين والجياد، لا ينبغى أن نفجعهم فى عراقة أدبهم فى زمن أخير من الأزمان . . لا بد إذن من إيجاد حلقة نسب مفقودة نرجع إليها ، لنحكم رباط الأدب العربى بالفن التمثيلى. هذه الحلقة لا يمكن أن تكون سوى : الأدب الأغريقى .

لهذا كله يتحتم الصلح بين الأدبين العريقين . .

وهنا نقترب من المسألة الكبرى : ماهى طريقه الصلح؟ . أيكفى لها العكوف بعناية واحتفال على الأدب التمثيلى اليونانى ننقله كله إلى لغتنا العربية ؟ . هذا أمر لا بد منه بالبداهة . . . ولقد تم من

ذلك شيء كثير .. بل كلنا شاهد على المسرح العربي الأدب العربي لسوفوكل تمثل منذ أكثر من ثلث قرن .

على أن مجرد نقل الأدب التمثيلي الأغريقي إلى اللغة العربية لا يوصلنا إلى اقرار أدب تمثيلي عربي . . . كما أن مجرد نقل الفلسفة الأغريقية ، ما كان يوصل إلى إيجاد الفلسفة العربية أو الاسلامية .

ما الترجمة إلا آلة يجب أن تحملنا الى غاية أبعد .

هذه الغاية هي الأغتراف من المنبع ثم اساغته وهضمه وتمثله . لنخرجه للناس مرة أخرى مصبوغاً بلون تفكيرنا ، مطبوعاً بطابع عقائدنا . . . هكذا فعل فلاسفة العرب ، عندما تناولوا آثار أفلاطون وارسطو . . .

كذلك يجب أن نفعل في (التراجيديا) اليونانية .. نتوفر على دراستها بصبر وجلد .. ثم ننظر اليها بعدئذ بعيون عربية ..

وخلفنا طريق نماثل قد سلك في تاريخ الآداب الفرنسية .. فقد عاد شعراء المآسي فيها الى الآثار اليونانية القديمة ، الى آثار اشيل وسوفوكل وايروبيد ، فاغترفوا منها ونقلوا ، دون أن يغيروا في الموضوع أو الأشخاص أو الحوادث ، ولكنهم اسبغوا على تلك الآثار كل روحهم الفرنسي . .

رقعة العمل أو لسيلة الصلح بل عملية «التزاوج» بين روحين وأدبين ... بعد انتشار التزاوج الذى حدث بين الفلسفة اليونانية والفكر العربى. بعد التزاوج الذى تم بين الأدب الفرنسى والأدب اليونانى .. مثل هذا التزاوج يجب أن يحدث نظيره بين الأدب اليونانى والأدب العربى ، فيما يتعلق بالتراجيديا... إذا تم ذلك على أى نحو من الأنحاء بالشعر أو بالنثر .. فما إخال الأدب العربى إلا معترفا بهذا الباب الجديد القديم .. متغاضياً عن الزمن الذى حدث ذلك فيه ... فما الزمن فى تاريخ الأدب الطويل بذى بال ، مادامت الحلقات فيه وثيقة الأتصال ، منطقية الأرتباط ، معقولة الخطوات ..

ولقد كان من رأيى دائماً أن الأدب العربى الحديث ليس إلا استمراراً لحركة التجديد التى قام بها الجاحظ فى القرن الثالث الهجرى ، على الرغم من انتكاسه أحياناً ووقوعه فى الانحطاط والتقليد فى فترات تخللت هذا الزمن الطويل ، وعلى الرغم مما قيل عن تأثره الأعمى بالأدب الغربى فى العهد الأخير . فهذا التأثر الذى لاحظه بعض السطحيين من المستشرقين ما تعدى الشكل والمظهر واللباس . وهو أمر طبيعى فى تاريخ آداب كل الأمم . فان الرداء الخارجى ملك مشاع للحضارة القائمة فى أى عصر من العصور . ولكن الاختلاف

يكون فى الجوهر والطابع والأحساس . وما فقد الأدب العربى قط روحه وتفكيره واحساسه على مدى الأحقاب ، سواء وقف أو سار، جمد أو تطور .

هكذا دفعت دفعاً إلى دراسة الأدب التمثيلى عند اليونان .. ما نظرت فيه نظرة باحث فرنسى أو أوروبى بل نظرة باحث عربى شرقى .. والنظرتان مختلفتان جداً ، كما اتضح لى فيما بعد .. فإنه على الرغم من ملابسى الأوروبية التى كنت أذهب بها الى (الكوميدى فرانسيز) أشاهد (أوديب) لسوفوكل يمثلها (ألبير لامبير) .. وعلى الرغم من ذلك الروح الفرنسى الذى كان يشع من مآسى (كورنى) و (راسين) . فان شيئاً فى أعماق نفسى كان يدنينى من روح التراجيديا كما أحسها الأغريق .. وما هى روح التراجيديا عند الأغريق ؟ .. هى انها تنبع من (شعور دينى) .. كل جوهر التراجيديا هو انها صراع ظاهر أو خفى بين الانسان والقوى الالهية المسيطرة على الكون .. صراع الانسان مع شىء أكثر من الانسان .. وفوق الانسان ! . . أساس التراجيديا الحقيقية فى نظرى هو احساس الإنسان انه ليس وحده فى الكون وهذا ما أعنيه بعبارة (الشعور الدينى) .. مهما يكن (شكل) التمثيلية واطارها واسلوبها والأثر الذى تحدثه فى النفس فان هذا

كله لايسوغ ، فى رأيى ، وصفها بالتراجيديا ، ما دامت لاتقوم على هذا (الشعور الدينى) ! هـــذا العنصر الألهى فى روح التراجيـــديا لم يحتفظ بحرارته وتألقه على مدى العصور ، فمنذ العصر اللاتينى نجد الشعراء يتناولون بالتقليد الدقيق التراجيديا الأغريقية فى كل مظاهرها الخارجية ، دون أن يحتفظوا كثيراً بالجوهر ، وجاء عصر النهضة فأوغل فى هذا السبيل ولم يعد الشعراء يفرقون بين المأساة والبشاعة ، فكلما كدسوا الرعب وكتلوا الهول حسبوا أنهم يصنعون مأساة تضارع المآسى اليونانية ، حتى اتى القرن السابع عشر فإذا نحن أمام التراجيديا وقد امست صراعا بين الأنسان ونفسه ، فهى مع (كورنى) قائمة على حوادث التاريخ ، ولنصغ إلى العلامة برونتيير وهو يقول محبذاً : (أو ليس التاريخ هو مشهد صراع بين ارادة وارادة ، إنه لمن الطبيعى أن يغدو التاريخ ملهما لمسرح يقوم بأكمله على الأيمان بسلطان الأرادة) أما مع (راسين) فقد اصبحت التراجيديا صراعاً بين عاطفة وعاطفة ، وإذا (الحب) مع ما يتبعه من غيرة وحسد وحقد وبغضاء هو المجال الذى يتحرك فيه شعوره وتفكيره ، وكلاهما فضلا عن ذلك غلف مآسيه بالروح الفرنسى ، فالشاعر كورنى (فَرْنَسَ

التاريخ)، إلى حد جعل (نابليون) فيما بعد يفضله على جميع الشعراء فقد كان يقول عنه : « هذا الرجل قد استشف معنى السياسة » ! . ولو أنه كون تكويناً عملياً لكان رجل دولة ، إن حكم الدولة قد حل عند الشعراء المحدثين محل حكم القدر عند الأقدمين ! ، وإن (كورنى) هو الوحيد من بين الشعراء الفرنسيين الذى احس هذه الحقيقة ! » ويبدو أن إعجاب نابليون بهذه النزعة عند كورنى حمله على التنوية بها كثيراً وعلى إظهار الأسف أن كورنى لم يعش فى عهده ، وإلا كما قال : « كنت جعلته أميراً ، بل كنت عيلته وزيراً أول ! » ولم يجد نابليون مايفعله من أجل كورنى هذا إلا أن يبحث عن أحفاده ، فما وجد منهم غير امرأتين ، أمر بأن يجرى عليهما معاش سنوى قدره ثلثمائة من الفرنكات ! . .

فى هذا العصر بالذات لم يكن من الميسور فيما يبدو ان يتذوق الشعب المآسى الأغريقية على وضعها الصحيح ، ولا أن ينفذ حتى خاصتهم إلى روحها ، فقد تمنى نابليون أن يرى (اوديب) سوفوكل ممثلة على المسرح ، فوجد معارضة شديدة من ممثل فرنسا الأول فى ذلك العصر (تالما) العظيم ! ، ولكن نابليون شرح وجهة نظره قائلا :

« إنى ما أردت بهذه الرغبة أن اصحح وضعنا المسرحى الحديث ، ولا أن أدخل عليه بدعة من البدع ، ولكنى أردت أن أشاهد الأثر الذى يمكن أن يحدثه الفن القديم ، فى مشاعرنا وظروفنا الحديثة ! ، وإنى لموقن أن تنفيذ ذلك الأمر كفيل أن يبعث فى النفس سروراً ، وإن كنت اتساءل مع ذلك عن الموقع الذى تقعه من أذواقنا مشاهد الجوقة والمنشدين على الوضع الذى عرفه الأغريق ؟ ! . »

ذلك ماكان من أمر كورنى . أما ماكان من أمر راسين فأنه مازاد على أن صور الحالة النفسية لعصره ، عارضاً إياها على المسرح ، فى ذلك الأطار الذى أطلق عليه اسم (التراجيدى) . . .

تبدد إذن على مر العصور ، وتبخر فى رياح الزمن ذلك (الشعور الدينى) الذى جعل من المأساة الأولى صراعاً بين الأنسان وبين ما هو أكثر من الأنسان . . لعل هذا من بوادر النهضة العلمية فى ذلك القرن .

مهما يكن من أمر الباعث ، فأن الشعراء والناس قد تغير

إيمانهم ، فأمسوا يعتقدون أن لاشيء غير الأنسان، فى هذا الكون، بدولته وحكومته وساسته وسلطته ! .

بانطفاء هذا الشعور الدينى لا أمل فى رأيي لقيام التراجيديا . ولعل هذا هو السبب فى موت التراجيديا فى عصرنا الحاضر ، مامن شاعر واحد فى العالم اليوم استطاع أن يؤلف (تراجيديا) واحدة لها قيمة وبقاء إلى جانب ماسلف من المآسى، ذلك أنه مامن مفكر اليوم فى العالم الغربى يؤمن حقاً بوجود إله آخر غير الأنسان نفسه ! .

لقد كان آخر العهود بالتراجيديا ، كما يجب أن تفهم، هو القرن السابع عشر، فإنه على الرغم مما ذكرنا عن (كورنى) و(راسين) فقد كانت لهما على الأقل من الأيمان الدينى بقية ، هى التى استطاعت أن تلقى فى أعمالهم تلك الجمرة من الحرارة العلوية ، وإن صلة راسين بطائفة (الجانسنست) الدينية ، والشروح التى فسر بها النقاد بعض مآسيه وخصوصاً (فيدر) على ضوء تعاليم تلك الطائفة ، لمن الأمور التى أفاض فيها تاريخ الأدب .

وما من حاجة فيما أظن إلى الحديث عن مآسى (فولتير) . . فهذا الساخر المتشكك ما كان فى قلبه إيمان بغير عقله ، وما كان

يرتد بنظره إلى الأغريق بقدر ما كان ينظر إلى (شكسبير) . . .
ان فولتير ليس إلا الممهد للعقلية الفنية الحديثة ، والنموذج الأول للمفكر الغربى والمؤلف الأوروبى فى وضعه الحالى .

فى هذا الجو ، من القرن الحاضر ، الخابى من سمائه ذلك الشعور الدينى بمعناه الغابر ، كنت أقرأ وأشاهد «التراجيديا» ، وأدرك بحاسة خفية جوهرها الحقيقى ! . ما السر؟ . مامن سر عجيب على الأطلاق. كل مافى الأمر أنى شرقى عربى . لم أزل محتفظاً بقدر من أحساسى الدينى الأول ، لم أجتز ما اجتازته العقلية الأوروبية من تلك الفترات التى سبق ذكرها ، موقفى أمام «التراجيديا» الأغريقية موقف مفكر عربى فى القرن الثالث الهجرى . بهذا الاحساس عدت إلى مصر ، ولم يمض قليل حتى كتبت قصة « أهل الكهف » ، كان ذلك فى عام ١٩٢٨ ، وكان « جوق » عكاشة قد اختفى نهائياً من الوجود ، فلم يقم فى ذهنى خيال مسرح بعينه ولا ممثل بالذات ، ولم أجد ما أبثه عملى غير الورق ، وعندما يعوز الكاتب مسرحاً ينهض عليه أفكاره ، فإنه يقيم فى الحال مسرحه بين دفتى كتاب ، كان الذى قصدته من وضع « أهل الكهف » هو ادخال عنصر « التراجيديا » فى موضوع

عربى إسلامى، «التراجيديا» بمعناها الأغريقى القديم الذى احتفظت به: الصراع بين الأنسان وبين قوى خفية هى فوق الأنسان، وحرصت على أن يكون منبعى لا أساطير اليونان بل «القرآن»، فان المقصود عندى لم يكن مجرد أخذ قصة من الكتاب الكريم ووضعها فى قالب تمثيلى، بل كان الهدف هو النظر إلى أساطيرنا الإسلامية بعين «التراجيديا» الأغريقية، هو احداث هذا «التزاوج» بين العقليتين والأدبين، ولم أشأ أن اصدر هذا العمل عند نشره بمقدمة حتى لا أكون أنا الموجه لتفكير القارىء واللافت لنظر الغير، فقد كان الذى يعنينى هو أن أرى كيف يقع هذا العمل من نفوس قارئيه بعيداً عن أى توجيه أو إيحاء. ومهما يكن من أمر التفسيرات التى تناولت ذلك الكتاب، فان الذى استقر فى ضمائر أهل الأدب يومئذ هو أن شيئاً ما على أساس ما قد وضع. ولم يشذ أحد من الأدباء عن اعتبار هذا العمل لونا من الأدب العربى، مثل أولم يمثل. بهذا تحقق ذلك الغرض الذى أشرت إليه فى مطلع هذه المقدمة، وهو أن الأدب العربى استطاع أن يقبل هذا «الأدب التمثيلى» منفصلاً عن المسرح. وهى نتيجة عجيبة. فقد كان لشوقى، كما اسلفت

روايات يعرفها المسرح أولاً قبل أن يعرفها الأدب فى كتاب يقرأ.
على أن من الميسور أن يلاحظ باحث أن شوقى فى رواياته التمثيلية لا صلة له على الأطلاق بالأغريق. فهو يمضى فيها على نهج شعراء المآسى الفرنسيين، ناسجاً موضوعاتها هو أيضاً حول «التاريخ» و «الحب» كما فى «مصرع كليو باترا» و «مجنون ليلى»، ولا جدال فى أن الصراع بين عاطفة وعاطفة أو بين إرادة وإرادة لمن أيسر انواع الصراع إخراجا أمام النظارة.. من ذلك تتبين الصعوبة فى أن نبرز روايات يدور فيها الصراع بين فكرة وفكرة على مسرح آخر غير مسرح الذهن، ولكن هذا المسرح الذهنى لا بد منه، ما دامت هنا لك موضوعات لا محيص من أبرازها، تقوم على أفكار مجردة، وأشخاص غير مجسدة، فالصراع بين الإنسان وبين القوى الخفية التى هى أكثر من الأنسان: مثل «الزمن» أو «الحقيقة» أو «المكان» الخ، لا يمكن تجسيده حتى يلائم المسرح المادى، إلا إذا لجأنا إلى طريقة التجسيد الوثنية التى لجأ إليها «اشيل» مثلا عندما جعل «القوة» و «العنف» و «البحر» أشخاصاً قائمة تتكلم، وهو أمر لا أظن العقلية العربية الأسلامية تسيغه، وهى التى جردت

(الله) من كل تجسيد ، وأجبرت ذهنها على قبوله متمثلاً فى « الفكرة » وحدها عارية منزهة عن كل غلاف كثيف خارجى .

على أن « إشيل » نفسه ، على الرغم من تجسيده للقوى الخفية ، قد حشره النقاد فى زمرة المؤلفين الذين يقرأون فى مقعد خيراً مما يعرضون على مسرح . وتلك مسألة قد أثيرت فيما يتعلق بشكسبير أيضاً . وهو إغراق فى التعنت فيما أعتقد . فلقد قرأت لناقد يدعى « بولنجيه » بحثاً فيما يسميه « المسرح فى مقعد » أعرب فيه عن دهشته لما فى روايات شكسبير من روح الكتاب ، أكثر مما فيها من روح المسرح ! . كان من هذا الرأى الغريب أيضاً « ريمى دى جرمون » الذى قال : « مامن رواية لشكسبير إلا وخيبت ظنى عند التمثيل ! . » أمام هذه الآراء قام الناقد « تيبوديه » يقسم المؤلفين المسرحيين إلى فئتين : فئة تتخذ الحياة الانسانية فى ذاتها موضوع حركتها ونشاطها . وفئة تجعل من تلك الحياة نغمة فكرية تلعب بها . فئة تصور حركة الآدميين فى الحياة ، وفئة تصور تفكير الآدميين فى الحياة . والفئة الأولى فى رأيه هى التى يسهل عرضها على المسرح « المادى » وهو يدخل فيها شكسبير على الرغم من أنغامه الفكرية

فى بعض رواياته . أما من الأغريق فهو يدخل فيها سوفوكل وايروبيد بينما الفئة الثانية يدخل فيها « اشيل ». نخرج من كل هذا على أن موضوع المسرحية هو الذى يحدد دائماً نوع المسرح . فاذا قامت الرواية على حركة الآدميين كان مكانها المسرح المادى ، وإذا قامت على حركة الفكر كان مكانها المسرح الذهنى .

وهنا يبدو سؤال : أليس من الممكن أن نعرض على المسرح « المادى » أمام النظارة ، تراجيديا اغريقية ، مدثرة فى غلالة « من العقلية العربية » يبدو فيها الصراع بين الانسان والقوى العليا الخفية دون أن يتجرد الفكر فيها إلى حد يلحقها بالنوع الذهنى من المسرحيات ؟ .

للاجابة عن هذا السؤال عكفت وقتاً ليس بالقصير على دراسة « سوفوكل » وانتهيت إلى انتخاب « أوديب » موضوعاً لاختبارى . لماذا أوديب بالذات ؟ . لأمر قد يبدو عجيباً . ذلك انى قد تأملتها طويلا فأبصرت فيها شيئاً لم يخطر قط على بال « سوفوكل » أبصرت فيها صراعاً لافقط بين الإنسان والقدر كما رآى الأغريق ومن جاء بعدهم إلى يومنا هذا . . بل أبصرت عين الصراع الخفى الذى قام فى مسرحية « أهل الكهف » ! . هذا الصراع لم يكن فقط

بين الانسان والزمن كما اعتاد قراؤها أن يروا . بل هى حرب أخرى خفية قل من التفت إليها . حرب بين « الواقع » وبين « الحقيقة » بين « واقع » رجل مثل مشلينيا عاد من الكهف فوجد « پريسكا » فأحبها وأحبته . وكان كل شىء مهيأ يدعوهما إلى حياة من الرغد والهناء . فاذا حائل يقف بينهما وبين هذا « الواقع » الجميل . . تلك هى « الحقيقة » ؟ حقيقة هذا الرجل مشلينيا الذى اتضح لپريسكا أنه كان خطيباً لجدتها! لقد جاهد المحبان كى ينسيا هذه (الحقيقة) التى قامت تفسد عليهما (الواقع) ! . ولكنهما عجزا بواقعهما الملموس عن دفع هذا الشىء الغامض غير الملموس ، الذى يسمى « الحقيقة » . « أوديب » و « جوكاستا » ليسا هما أيضا سوى « مشلينيا » و « پريسكا » . لقد تحاباهما أيضاً ، فأفسدما بينهما علمهما بحقيقة أحدهما بالنسبة إلى الآخر! . إن أقوى خصم للإنسان دائما هو : شبح ! .. شبح يطلق عليه إسم (الحقيقة)، هذا هو باعث على اختيار (أوديب) بالذات . لى فيها نظرتى وفكرتى ، ولكن بقى التنفيذ ، على أى وجه من الوجوه أتناول هذه (التراجيديا) ! . هنا وقعت فى الحيرة زمناً ، فأنا أعرف الجهد الذى أمضّ من سبقنى فى تناولها من الشعراء والمؤلفين ، على مدى القرون . فإذا تذكرت قصور (سنيكا) فى (أوديب) واخفاق (كورنى) فى (أوديب) وضآلة (فولتير) بالقياس إلى سوفوكل فى (أوديب) ، أصابنى دوار ، فإذا تركت أولئك العباقرة من الشعراء

والتفت إلى من تناول (أوديب) من الناثرين المعاصرين ، وما تعرضوا له من خيبة أو سقوط ، نالنى جزع ، فقعدت حيناً يائساً متكاسلا مؤجلا إنجاز هذا العمل ، حتى نهضت أخيراً اشجع نفسى وأقول: فلأعمل وأخطىء خيراً من أن اجزع واقعد، ولتكن لى فى أولئك المخفقين اسوة ، فلأخفق مثلهم ، فهم على كل حال قد أدوا واجبهم ، وإن لهم الحمد مع ذلك لأنهم تشجعوا وأقدموا وأخطأوا ، واستطعت انا الانتفاع من اخطائهم ، لأتجنبها وأولى وجهى شطر ناحية أخرى ، ربما كان فيها أيضاً نوع آخر من الخطأ. فليكن . . . إن أخطاء الفنانين والأدباء لها احيانا من الفائدة ما يسمو على الصواب . .

عرفت من الشعراء الأحياء ممن تناولوا (أوديب) الشاعر الانجليزى (بيتس) والشاعر الألمانى (هوفمانستال) . والأثنان ما زاد اشيئاً على مأساة (سوفوكلس) ثم عرفت من الناثرين ثلاثة من الفرنسيين المعاصرين تناولوا كلهم (أوديب) عن سوفوكل ، أولهم (سان جورج دى بوهلييه) والثانى (جان كوكتو) والثالث (اندريه جيد) .

أما (دى بوهلييه) فقد قطع قصة (أوديب) ووزعها على مناظر

عديدة ، ناهجاً فى ذلك منهج شكسبير فى مسرحياته ، فما إن عرضت على المسرح حتى قال فيها الناقد (لوسيان دوبيش) : .

« بينما نجد عند سوفوكل أن أوديب مشغول بالحادثة التى يحركها ويعيش فيها ، فلا وقت عنده للتأمل فى مصيره ، نجد (دى بوهلييه) يتركه وحده طويلا يناجى شكوكه وندمه ويقظة ضميره مثل (هاملت) أو (ليدى مكبث) ، من العبث أن نذكر (دى بوهلييه) أن لا شىء يفوق فى مأساة سوفوكل الخالدة تلك القوة الدرامية الكبرى المنبعثة من ذلك التكتيل للحركة والتكديس للحوادث فى تلك الوحدة الوثيقة والحيز الضيق . الخ »

لقد انتفعت حقاً بهذا الخطأ ، فقد كان خطر لى أنا أيضا أن أضع قصة (أوديب) فى مناظر عدة كما فعلت فى (شهر زاد) وفى (سليمان الحكيم) ، فوقانى الله شر هذا العمل ، برؤيتى التجربة تخفق على يد (دى بوهيليه) ، ! أما (جان كوكتو) فقد وضع (أوديب) فى مسرحية متعددة المناظر أيضا ، سماها (الآلة الجهنمية) وعرضها على المسرح ، ولم أشاهدها تمثل ولم أقرأ لها نقداً ولكنى أدركت من قراءتها مطبوعة فى كتاب أن (كوكتو) تأثر

بالنظرية الأغريقية فى أوديب تأثراً سطحياً . ولكنه تأثر بشكسبير هو الآخر تأثراً فنياً، فجعل روح والد أوديب تظهر على الجدران كما ظهرت روح والد (هملت) ! عجباً لكل هذا التأثر فى (أوديب) بطريقة شكسبير دون التأثر بطريقة سوفوكل، وهو قمة الفن التراجيدى المركز بلا مراء.

ويأتى بعد ذلك اندريه جيد بقصته (أوديب) وقد تحافيها نحو (سوفوكل) ولكنه جعلنا نشعر نحو (أوديب) بجلال لا ينبعث من صلة الإنسان بما هو أكثر من الإنسان بقدر ما ينبعث من صلة الإنسان بذاته، لقد استطاع اندريه جيد أن يجعل من إيمانه بالأنسان مادة خشوع ، تحل فى النفس محل ذلك الخشوع للقوى الخفية العليا ! ، إنه يلخص لنا بصدق وإخلاص كل عقيدة الأوروبى اليوم أن لا شىء فى الكون غير الأنسان . ولا قيمة فى الكون لغير الأنسان ، وليس اندريه جيد وحده هو المسئول عن هذه العقيدة فهى موجودة قبله بنحو قرن من الزمان منذ رأى (بالانش) فى شخصية (بروميثيوس) لأشيل : (الأنسان يكون نفسه بنفسه) بل لقد رأى (إدوار شوريه) فى أوديب ما رآه (اندريه جيد) فقد قال (شوريه) فى كتابه (التطور الألهى من أبى الهول إلى المسيح)

الصادر فى عام ١٩١٢ ما نصه : (أوديب ليس ملهماً ، ولا متطلعاً إلى الأسرار ، إنه الأنسان القوى المتكبر ، الذى يلقى بنفسه فى خضم الحياة بكل مافى رغباته من نشاط ، ارادة المتعة والقوة هى كل ما يسيطر عليه ، وبهذه الغريزة الخالصة استطاع أن يحل لغز أبى الهول أو (الطبيعة) الذى يلقيه على كل إنسان عند عتبة الوجود فقد أدرك أن كلمة اللغز هى الأنسان ذاته .)

هذا نص فكرة (شوريه) ، وهذا ما رآه (جيد) أيضاً فى (أوديب) التى أعتقد أنه لخص بها كل العقلية الأوروبية اليوم . . تلك العقلية التى نستطيع أن نصعد بها راجعين إلى أيام (فولتير) فهو الذى بدأ يدك حصن الإيمان من القلوب ، بما كان يقذف به الذات العلية من أنواع السخرية ، وإن كان قد تسامح أحياناً فترك فكرة « الله » تعيش دون أن يتناولها بالإنكار الصريح ، حتى جاء (رينان) فى القرن التاسع عشر فجعل يشكك الناس فيما سماه الأفكار العتيقة عن « الله » قائلا إن (الناس يعيشون على انفاس عطر ينبعث من إناء فارغ !) واجتاح (نيتشه) بعدئذ العقول والنفوس بآرائه التى أنكر بها صراحة وجود أى عالم خفى أو أى سلطان إلهى ،

مؤكداً أنه لا يوجد شيء فوق الأنسان ! . . وأن ارادة القوة فيه هى كل فضيلته وكل فردوسه ، معلناً : « لقد حل الإنسان الأعلى اليوم محل الأله ، إن الأله قد مات ! » . على أثر ذلك كله تصدعت العقيدة الدينية فى النفوس ، فما عاد أحد يؤمن بشيء غير الانسان ! . . . ذلك هو إيمان أوروبا اليوم الذى لخصه (جيد) أبرع تلخيص فى قصة (أوديب) وقد انتهى منه إلى انتصار الانسان حتى فى محنته على كل القوى الظاهرة والخفية ، هكذا يرى الفكر الأوروبى المعاصر (الإنسان) وحده فقط فى هذا الكون ، وهو أمر ، وإن أدركه عقلى المتابع لتطورات العقل البشرى ، فلا يؤمن به قلبي الشرقى الدينى ، لقد رأيت أنا أيضاً فى قصة (أوديب) تحدياً من الانسان للأله ، أو القوى الخفية ، ولقد أظهرت هذا التحدى على نحو أبرز ولكنى أبرزت كذلك فى عين الوقت عواقب هذا التطاول ، لأنى ما شعرت قط يوماً أن الانسان وحده فى هذا الكون ، هذا الشعور هو أساس عملى كله ، ومن يطالع الثلاثين كتاباً التى نشرتها دفعة واحدة ، ربما أحس هذه الفكرة تخيم عليها كلها ، كما تخيم على مؤلفات (جيد) فكرة الانسان الوحيد فى الكون ، وربما استطاع القارىء

المنقطع أو الناقد المتخصص أن يرى هذه الفكرة أو هذا الشعور فى أردية وحنايا واتجاهات لم تخطر لى على بال.. ان القارىء أو الناقد الذى يتتبع فكرة أو اتجاهاً فى مؤلفات كاتب لم يعرف بعد فى آدابنا العربية الحديثة ، فالنقد الأدبى هنا لم يزل فى طور النقد الصحفى الذى يتناول الكتاب منفصلا عن هيكل آثار المؤلف ، وما من ريب فى أنه سيعقب هذه المرحلة طور أرقى هو طور (النقد الإنشائى) الذى يعكف فيه الناقد على مجموع أعمال مؤلف بعينه ليستخرج منها فكرة وينشىء مذهباً ، إن شعورى بأن (الشرق) يعيش دائماً فى (عالمين) على النحو الذى ذكرته فى (عصفور من الشرق) هو الحصن الأخير الذى بقى لنا لنعتصم فيه ضد تفكير (الغربى) الذى يعيش فى (عالم واحد) هو عالم الانسان وحده ، وشعورى هذا ليس سوى امتداد لشعور فلاسفة الاسلام ، إن التجديد الجوهرى الذى جاءت به الفلسفة الإسلامية وأثرت به على أوروبا فى القرن الثالث عشر الميلادى ، ليس فى أنها نقلت آثار أفلاطون وأرسطو ، ولا فى انها شرحتها وحدها وفسرتها ، بل فى انها اطلعت بعدئذ على تفكير مدرسة الاسكندرية وعلى الافلاطونية الجديدة ، وما اصطبغت به تلك الأفكار من

روح دينى فى عهد المسيحية الأول ، ثم تناولت كل ذلك ومزجته على الرغم من صعوبة المزج ، مزجت منطق ارسطو بالروح الدينى لا كما تلقته من مدرسة الاسكندرية ، بل كما طبعته بالطابع الاسلامى . بذلك عرفت أوروبا ما سمته الفلسفة العربية أو الاسلامية ، أى ذلك المذهب العجيب الذى يقوم على عمودين ، ما كان أحد يظن أنهما يقومان جنباً إلى جنب : العقل والعقيدة الدينية .

ليس غريباً على مثلى اذن أن يحتفظ بآثار تلك الفلسفة ، وأن يراها تتمشى فى دمه على الرغم منه ، فان اتصالنا بالحضارة الأوروبية كفيل أن يفيدنا فى اجتلاب القوالب وتجديد الثياب ، ولكنه غير قدير على اقتلاع الروح ولا محو الطابع .

فأنا أتحرك دائما فى عالمين ، وأقيم تفكيرى على عمودين ، ولا أرى الأنسان وحده فى هذا الكون ! ، إنى أومن ببشرية الإنسان ، وأرى عظمته فى أنه بشر ، بشر له ضعفه ونقصه وعجزه وأخطاؤه ، ولكنه بشر يوحى إليه من أعلى ، !

هذا هو وجه الخلاف بينى وبين (اندريه جيد) ، ومن سبقوه

ممن ألّهوا الأنسان وجعلوه فى عالم واحد ، ربًّا لنفسه وللكون ، حاكما بأمره ، لا يسيطر عليه غير ارادته وعقله ! .

ولقد كان (جيد) مخلصاً فى إجلاله للأنسان ، وقد وضع (أوديب) فى إطار من التقديس لكبرياء الأنسان ، ذهب فيه إلى حد الإيمان بهذا الصلف ، والتمجيد لهذا التطاول ، إطار جليل هز نفسى وأمتع ذهنى ، وليس إلى إنكار ذلك من سبيل ،

على أن الجلال الذى أحاط به (اندريه جيد) قصته لم يمنعنى من رفض طريقته فى الأداء ، فهو جلال فكرى محض يمتع أمثالى من محبي الفكر المجرد ، ولا يرى فيه بأساً أولئك المتذوقون لآثار المسرح الذهنى ، ولو انى تناولت (أوديب) منذ عشر سنوات لجردتها أنا أيضا من كل شيء إلا مما أردت أن أصب فيها من آراء ، هكذا فعلت فى عام ١٩٣٩ بقصة (مشكلة الحكم) التى وضعتها على أساس (أرستوفان) ثم فى قصة (بجماليون) ولكنى اليوم أريد ان التى بالا إلى عناصر التمثيلية ، من حيث هى شيء يعرض على النظارة ، لقد تساءلت أمام قصة اندريه جيد : لماذا لم يحتفظ لمأساة أوديب بجلالها المسرحى ؟ ، لكأنه قد استل عامداً كل ما فيها من قيمة درامية ، بلا

موجب أحيانا ، فهذا التحقيق الذى قام به أوديب للكشف عن الحقيقه ، هذا التحقيق الذى رأيت فيه ، أنا المحقق القديم ، غاية البراعة فى إدارة دفته ، ومناقشة شهوده ، ورأى فيه النظارة على مدى القرون مشهدا مسرحيا من أشد المشاهد تأثيراً فى النفس وتعليقا للأنفاس ، لماذا اختزله (جيد) هذا الاختزال ، واقتضبه وطواه كما يطوى اللغو من الكلام ، ومضى بفكرته يسير بها إلى العقل صعداً ، دون سند من المواقف المثيرة ؟! من الخطأ إذن ان نسمى قصة (جيد) مأساة ، انه ماقصد قط ان يعرض علينا (تراجيديا) فى جمالها الفنى وجلالها العاطفى ، ماذا يمكن أن نسمى عمله هذا اذن ؟ ، اغلب ظنى أنه (تعليقات فكرية) على (أوديب) سوفوكل أو أنه (تراجيديا ذهنية) نزعت منها كل عناصر التراجيديا المسرحية..

لذلك حرصت كل الحرص على أن احتفظ لمأساة (أوديب) بكل قوتها الدرامية ، ومواقفها التمثيلية ،وكان عنائى كله فى أن أعفى كل أثر لتفكير يظهر فى الحوار ، حتى لا يطغى على الموقف أو يضعف من الحركة ، كان جهدى هو أن أخفى الفكرة فى تلابيب الحركة ، وأن أطوى اللب فى أعطاف الموقف ، على أنى صادفت

من الصعاب ما لااعتقد أنى اجتزته ، فلقدتذكرت نصح (سارسى) لنظارة الكوميدى فرانسيز : أن يرجعوا قبل الحفلة إلى معجم فى الميثولوجيا الأغريقية ! ، لا بد لى اذن من أن الخص ما جرى لأوديب قبل بدء المأساة ، وأن أجرد القصة من بعض المعتقدات الخرافية التى تأباها العقلية العربية أو الأسلامية . وأن أخرج على قاعدة الوحدة فى الزمان والمكان التى تخضع لها التراجيديا اليونانية ، خرجت على هذة القاعدة مرغماً ، وكان بودى لو احتفظت بها ، ولكنى رأيت جو الأسرة فى حياة (اوديب) امراً لا ينبغى اغفاله ، لأن على محوره تدور الفكرة التى من أجلها تخيرت هذه المآساة بالذات ، وجو الأسرة عند أوديب لا يمكن أن يجعل خارج البيت ، حقاً إن حوادث التراجيديا الأغريقية تقع دائما فى ميدان عام أو فى الهواء الطلق ، لأن روح الحياة اليونانية القديمة كان يتطلب ، كما يقول أوتو موللر ، اخراج الحركة المسرحية من داخل المنازل إلى الخارج ، فكل هام من الأحداث وكل عظيم من الأمر ، إنما كان يقع عند اليونان فى مكان عام ، وما كانت العلاقات الاجتماعية بين الناس تنشأ فى البيوت ، بل فى الأسواق والطرقات ، مما اضطر شعراء الاغريق إلى ملاحظة

تلك التقاليد فى حياة الاغريق ، عندما كانوا ينشئون آثارهم التمثيلية .

على أنى فكرت رغم ذلك فى إمكان المحافظة على هذه القاعدة فى هذه القصة ، لو أصرّ على ذلك مخرج مسرحى ، أعطى من سعة الحيلة ، ما يمكنه من إظهار جو البيت وجو الميدان فى آن ، دون حاجة إلى تغيير فى المناظر ، أو خروج على قاعدة الوحدة فى الزمان والمكان .

وبعد . . فانى لست أدرى ماصنعت بهذه التراجيديا ؟ . هل أحسنت بأقدامى هذا أو أسأت ؟ وهل يسيغها الأدب العربى على هذا الوضع ؟ . .

لقد حاولت . . وهذا كل ما أملك ؟

ت . أ

الفصل الأول

« الملك أوديب مستند إلى عمود من أعمدة البهو فى قصره ، وهو جامد كتمثال ، يطيل النظر مفكراً إلى المدينة من خلال شرفة رحبة ... وتظهر الملكة جوكاستا بين صغارها الأربعة ، تشير إليهم بالتمهل وتخفيف الوطء .. بينما تهمس انتجونه وهى الكبرى لأمها : »

* * *

انتجونه (هامسة وهى تتأمل أوديب)

أماه ! . . ما باله يرسل البصر هكذا إلى المدينة ؟

جوكاستا

اذهبى إليه أنت يا انتجونه ، وسرّى عنه . . فهو يصغى اليك دائما .

انتجونه (تتجه اليه بهدوء)

ابتاه ! . . فيم تفكر وحدك هكذا ؟

تلك التقاليد فى حياة ا! أوديب (يلتفت اليها)
على أنى فجونه ؟. (يرى الملكة وبقية الأبناء) وأنت يا جوكاستا؟
فى هذا كم هاهنا . . حولى . . . ما الذى جاء بكم الآن ؟ .

جوكاستا

هذا الهم الجاثم على صدرك يا أوديب !. لا تقل لنا إنه
الطاعون الذى نزل بالمدينة . . فأنت لا تملك لدفعه شيئاً . .
ولقد فعلت ما استطعت، وأسرعت فى طلب «ترسياس» ليشير
عليك بما يوحى اليه اطلاعه على علوم البشر وأسرار الغيب . . .
فيم اذن هذا الاطراق الطويل ؟

أوديب

محنة طيبة !. تلك المدينة التى وضعت مصيرها فى يدى .

جوكاستا

كلا يا أوديب. ليست محنة المدينة وحدها . . انى أعرفك
كما أعرف نفسى . . هنالك علة أخرى. فى نفسك انقباض أطالع
أثره فى عينيك . . .

أوديب

انقباض لا أدرى له علة .. لكأن شراً مستطيراً يتربص بي .

جوكاستا

لا تقل ذلك . . إنما هى آلام الناس قد انعكس طيفها على نفسك الصافية . نحن أسرتك يا أوديب ، علينا الآن واجب التسرية عنك .. هلموا يا أولادنا .. التفوا حول أبيكم ، وبددوا عن رأسه وقلبه هذه السحب القاتمة ! . .

انتجونه

ابتاه ! . . أسألك شيئاً لا تردنى عنه .. قص علينا قصة ذلك الوحش الذى قتلته فيما مضى . . .

أوديب

أغلب ظنى ياجوكاستا أنك أنت الموحية إلى أولادنا ، أن يسألونى ذلك دائما .. لقد سمعوا تلك الحكاية منى كثيراً ..

جوكاستا

ولماذا تضيق بذلك ياأوديب ؟ إنها على كل حال صفحة من

حياتك يجدر بأولادنا أن يلموا بها كل الإلمام . . إن كل أب بطل فى نظر أبنائه . . فكيف بك وأنت البطل الحقيقى فى نظر طيبة كلها . . ومع ذلك فكن على ثقة أن أولادنا هم الذين يتوقون إلى سماعها منك فى كل حين . . انظر إلى عيونهم المتطلعة ، وإلى أنفاسهم المعلقة ! . .

انتجونه

أجل يا أبى . . قص علينا كيف انتصرت على الوحش !

أوديب

تريدين ذلك حقاً يا انتجونه ؟ . أولم تسأمى منها بعد ؟ . . واختك واخواك . ؟ .

انتجونه (تهز رأسها نافية وكذلك الجميع)

لن نسأم أبداً .

أوديب (يتخذ مقعداً وأولاده حوله)

اذن فاسمعوا . . . كان ذلك منذ عشرين عاما . . .

جوكاستا (وهى تجلس بقربه)

منذ سبعة عشر عاماً . . فيما أذكر .

أوديب

نعم . . أصبت . . حدث فى ذلك اليوم انى دنوت من أسوارطيبة ...

انتجونه

من البداية يا أبتاه ! . . . قص علينا من البداية .

أوديب

ليس لهذا صلة بحادث الوحش . ومع ذلك فليكن ماتريدون . . أنتم تعلمون انى نشأت مثلكم فى قصر ملكى . . ووجدت مثلكم الحب والعطف فى أحضان أب كريم هو الملك « بوليب » وأم رؤوم هى الملكة « ميروب » . . لقد ربيانى وهذبانى ، كما يربى ويهذب أبناء الملوك ... إلى أن صرت شاباً جلداً قوياً ذكياً . . أحذق الفروسية ، وأهيم بالمعرفة . . أجل يا أنتجونه ! . . كان لى

بريق عينيك ، كنت محباً للبحث عن حقائق الأشياء . . ففى ذات مساء . . علمت من شيخ بالقصر ، أطلق لسانه الخمر ، أنى لست ابناً للملك والملكة ، فهما لم ينجبا قط الولد . . وإنما أنا لقيط تبنياه . . . منذ تلك الساعة لم يهدأ لى قرار ، ولم أقعد عن التفكير لحظة فى حقيقة منبتى . . فغادرت تلك البلاد ، وهمت على وجهى ، باحثاً عن حقيقتى . . حتى انتهى بى المطاف إلى أسوار طيبة . .

أنتجونه

وهنا لقيت الوحش . .

أوديب

نعم يا ابنتى . . وكان وحشاً مهولاً . . . أسداً . . .

جوكاستا

له وجه امرأة . .

أنتجونه

وله أجنحة نسر . . إنك تنسى دائماً يا أبى أن تحدثنا عن أجنحته . .

أوديب

نعم .. نعم .. كانت له أجنحة كأجنحة النسر . وقد خرج علىَّ من الغاب ...

أنتجونه

سائراً أم طائراً ؟ ..

أوديب

سائراً كالطائر ... وفتح فمه ...

أنتجونه

وطرح عليك اللغز ...

أوديب

نعم .. قبل أن يأ كلنى طرح على لغزاً .. ذلك اللغز الذى قيل إنه كان يطرحه على كل من لقيه من أهل طيبة ...

جوكاستا

وكلهم عجزوا عن حله ... فكان يفتك بهم عندئذ ويقتلهم

لساعتهم ... حتى أهلك عدداً كبيراً من أهل المدينة . أجل يا أوديب لقد لبث أهل طيبة زمناً يتحاشون التخلف خارج الأسوار إلى مغيب الشمس ، خوفاً من لقاء الوحش ... لقد سموه «أبا الهول» فلقد ألقى الرعب فى قلوب الناس طويلاً .. وكان زوجى الملك « لايوس » قد مات منذ قليل . وتركنى فى عنفوان العمر ، وحيدة ، أعيش فى برد هذا القصر . . أرتجف فرقاً مما يشاع فى المدينة عن أبى الهول وضحاياه .. كان أخى « كريون » فى ذلك الوقت هو الوصى على العرش .. فلم يقو على دفع الكارثة .. وهاج الشعب طالباً الحماية من ذلك الخطر ، ثم لم يلبث أن أعلن رغبته فى أن يمنح عرش المدينة لمن ينقذها من الوحش . .

أوديب

ليس العرش وحده ياجوكاستا . . كانت هنالك مكافأة أخرى أثمن منه . . هى يد الملكة الأرملة .. هذا كله كنت أجهله عندما لقيت الوحش .. لو انى عرفت ذلك الجزاء الجميل الذى كان ينتظرنى ، ترى ماذا كنت أصنع ؟ . . ربما كان فؤادى اضطرب ، ويدى ارتجفت ، ولم أظفر بالنصر ! . .

أنتجونه

وكيف مات الوحش ؟ . .

جوكاستا

عندما حل أبوك اللغز ، الذى لم يستطع أحد حله، اغتاظ أبو الهول ، وألقى بنفسه فى البحر ... كنت أنا وقتئذ فى قصرى هاهنا .. أتلقى أحاديث الناس عن ذلك اللغز ، الذى يطرحه الوحش على ضحاياه . . ولا أدرى ماهو ؟ فما من أحد عاد إلينا حياً قبل أبيكم ، ليخبرنا به .. ولست أكتم عنك الآن يا أوديب . . لقد كنت يومئذ أطرح على نفسى أنا أيضاً سؤالاً ، بل لغزاً : ترى من هو الظافر ؟ وهل سأحبه ؟ . . لطالما صحت من أعماق نفسى فى سكون الليل : « من الظافر » لا بالوحش .. بل بقلبي !. قلبي الذى لم يكن قد عرف الحب .. رغم زواجى المبكر بالملك الطيب « لايوس » . لكن . . عند ما رأيتك يا أوديب وأحببتك أدركت أن لغزى هو الآخر قد حل ! . .

أنتجونه

كيف طرح عليك أبو الهول لغزه يا أبتى ؟

أوديب

قال لى ، وقد نفش ريش جناحيه : « أيها القادم .. ماذا جئت تصنع هاهنا .؟» فقلت له : «جئت ابحث عن حقيقتى ؟» فقال : « إليك سؤالا .. إذا عجزت عن جوابه فأنى افترسك : ما هو الحيوان الذى يمشى فى الصباح على أربع ، وفى الظهر على اثنتين ، وفى المساء على ثلاث ؟ . . »

انتجونه

لا تجب أنت يا أبى . . دعنى أنا اليوم أحل اللغز ، نيابة عنك . لقد اجبته هكذا : « أيها الوحش الذى أرعب المدينة ، لن تغلبنى . ان ذلك الحيوان الذى تسألنى عنه هو « الأنسان »! .. فهو الذى فى الصغر يحبو على يديه وقدميه ، وفى الكبر يستوى ماشياً على قدميه ، وفى الشيخوخة يدب على قدميه وعصا . . .

أوديب

الجواب كما ترين ، واضح يا انتجونه . . . وانى لأعجب كيف

فات اكثر الناس رؤيته ! . . ربما كنا نحمل كثيرا من الأجوبة عما نسأل ، دون أن ندرى أو نرى . . .

جوكاستا

لعل الوحش أراد أن يسخر من الإنسان الذى لا يرى نفسه ! . ولكنك أنت رأيت يا أوديب وأجبت . . وبهذا أكمدت الوحش وأخرسته وألقيت به فى البحر . . ودخلت طيبة . . فوجدتها تستقبلك ، لتجلسك على عرشها ، وتمنحك يد ملكتها . . هكذا جئت إلى ، وعشت معى ، وانجبت منى هذا النسل الطيب الجميل . . وأعطيتنا هذه السعادة . . .

أوديب

نعم . . هـــذه السعادة التى غمرتنى ، وأنستنى ما كنت خرجت له . . وما كنت أبحث عنه . . .

جوكاستا

حقيقتك ؟ ! . . ماذا يهمنا من أمر هذه الحقيقة . . ما دمنا

سعداء ! ! . قلت لك كثيرا : إياك أن تظن انى كنت أوثرك من سلالة الملوك .. إنه لفخر لى ولأولادنا ألا تكون إلا من صفوة الأبطال ! . من أجل هذا أحب أن تروى لصغارنا بطولتك ، وتلقى عليهم درسك فى كل حين . . بل لست انكر أنى ، أنا أيضا ، أحب ان اسمع دائما هذه القصة منك .. إنها تذكرنى بتلك اللحظات التى كان يترقبك فيها قلبى . . قلقاً ، مرتجفاً ، لا يدرى أتظفر أنت بمفتاحه أم يلقى بنفسه فى بحر العدم ! . . أوديب ! . . زوجى . . لكأنه كتب لى أن أرى السعادة كاملة ، وأن تراها انت كذلك بلا شائبة . . . لقد كان لى من « لايوس » ولد . . ولكن الأله الذى أراد سعادتنا ولا ريب ، أوحى اليه أن ينبذ هذا الولد ، لأنه سيكون شؤماً عليه . . فدفع به عقب ولادته إلى من يقتله فى الجبل . . وبهذا لم يقم بينى وبينك اليوم طيف ينغص عليك ما أنت فيه من هناء ! . . أوديب ! . ما ذا بك ؟ . لقد عادت السحابة القاتمة تخيم على وجهك ! . .

أوديب

قلق على هذا الشعب فى محنته ! . . لقد ارتعدت وأنت تلفظين كلمة « الهناء » ! . . أحس شيئاً يخيفنى الآن من هذه الكلمة . . . اسمعوا ! . ما هذا الصوت ؟ . .

(جوكاستا والأولاد
يلتفتون إلى الشرفة)

انتجونه

إنهم يهبطون من التلال ، ويفيضون فى الطرقات ، حاملين الأغصان ! . .

جوكاستا

أجل يا أوديب ! . . هم أهل طيبة . . آتون ولا ريب اليك ، حاملين أغصان الضراعة ! . .

(ينظر أوديب من الشرفة صامتاً بين اسرته)

الشعب (فى الخارج يصيح)

أيها الملك أوديب ! . . أيها الملك أوديب ! . .

صوت (من بين الشعب فى الخارج)

أيها الملك الجالس على عرش طيبة ! . . انك ترى الأفواج من شعبك . . يتدفقون رجالا ونساء ، أطفالا وشيوخاً ، ليرتموا على أعتاب بابك ، رافعين فى أيديهم أغصان الضراعة ترتجف فوق أبدانهم الخائرة . . إن المدينة ، كما ترى بعينك ، قد عصفت بها المحنة . . وإن الموت ليطيح بالقطعان فى المراعى ، ويطيش بالأطفال فى المهود . . إن الطاعون يحصد فى أنحاء ملكك الأرواح ، وينثر الدمار . . هازئاً بقلوبنا الدامية ودموعنا الجارية . . أوديب ! . . يامن أنقذت هذه المدينة ، من « أبى الهول » ، أنقذها اليوم من هذا الطاعون ! . . إن الشعب الذى نادى بك بطلاً ، وأجلسك على عرش هذا الوطن ، كى تدرأ عنه المحن ، ليطالبك الآن بأن تهب لنجدته ، وأن تنهض لمعونته ! . .

أوديب

شعبي التعس ! . . إنى لست نائماً عن آلامكم ولا غافلاً . . فأنا أتوجع لما أنتم فيه أشد الوجيعة . . ولست ناسياً أنكم رفعتمونى

إلى هذا العرش لأحميكم ، وأنكم تنتظرون منى عملاً ينقذكم .. فدعوا لى وقتاً للتفكير والتدبير والعمل ! . .

الصوت (من الخارج)

أيها الملك ! . . استخر الآله . . ها هوذا كبير الكهنة يدخل قصرك . . إصغ إليه ! . .

(يلتفت أوديب وأسرته إلى باب البهو .. فيرون كبير الكهنة داخلا . . . . .)

الكاهن

يا أوديب ! . . جئت أقول لك كلمة وأمضى . . شعبك يتساقط من حولك كما يتساقط الورق عن الشجرة . . وإذا كان فرعك لم تسقط منه حتى الآن ورقة ، فهذا لا يلهيك ، فيما نظن ، عن الرثاء لحال الآخرين . . ولكن الرثاء وحده لا يكفى .. والأمر ، كما ترى ، لا ينفع فيه حل الألغاز ولا فك الأحاجى .. وليس لنا من مخلص إلا الرجوع إلى الإله ! . .

أوديب

وهل أنا الذى يمنعكم من الرجوع إلى الإله ؟ ! ..

الكاهن

إنك لا تمنعنا . . ولا تستطيع . . ولكنك تبحث دائماً فيما لا ينبغى البحث فيه ، وتسأل دائماً أسئلة لا يجب أن تطرح .. إن وحى السماء عندك موضع فحص وتنقيب ..

أوديب

لو كان فى يدى التجرد من طبيعتى ! ..

الكاهن

لا حاجة بك ولا بنا إلى ذلك . . لقـــد التمسنا من رجل آخر أن يمضى إلى معبد « دلف » ليستخير الأله ، فيما يخلق بنا أن نصنع ، حتى يرفع هذا الغضب عنا ! ..

أوديب

ومن هـــذا الرجل الذى أوفدتموه ؟

الكاهن

هو كريون .

جوكاستا

أخـــى ؟

الكاهن

إنه ، فيما نعلم وتعلمون ، رجل لايجادل فى الحقيقة ، ولايمارى فى الواقع .. ولن يقول للكهان فى معبد « دلف » : أقيموا الى البرهان المحسوس ، على أن هذا الوحى هبط عليكم من الآله حقاً ، ولم يهبط من أذهانكم ؟ ..

أوديب

يسرنى أن يكون « كريون » موضع ثقتكم . . ولكنى لم أفهم بعد عنك : ماذا جئت ترجو عندى ! . .

الكاهن

كريون لابد عائد بعد قليل .. فإذا جاء من المعبد بأمر، فهل أنت مستعد ياأوديب ، أن تنفذ هذا الأمر، إنقاذاً للمدينة ؟..

أوديب

فهمت الآن . . (بعد لحظة تفكير) أستطيع أن أجيبك ياكبير

الكهنة . . كل ما فيه إنقاذ المدينة لن أحجم عن تنفيذه . .

الكاهن

أنصرف إذن ، لأعود إليك مع كريون ، بما يحمله من وحى علوى ! . .

(يخرج كبير الكهان ، ويبقى أوديب فى أسرته صامتين)

جوكاستا (بعد لحظة)

رحمة بنا أيتها السماء ! . . إنى . . . خائفة ! . .

أوديب

لا تخافى ! . . إنى لست خائفاً . . مامن شىء يخيفنى حقاً ، إلا أن أرى خطراً يدنو منك ومن أولادنا . . . أما هراء هؤلاء الكهان . . .

جوكاستا

لا تقل ذلك يا أوديب ! . . لا تقل ذلك أمام أولادنا . . . إعلم أنى مدينة بسعادتى للأله ! . .

أوديب

أواثقة أنت من ذلك ؟ . .

جوكاستا

كفّ عن هذه الأسئلة المشؤومة ! . . إنك لم تعد تثق بشيء ، منذ أن عرفت أنك لقيط ... إنها كانت لك صدمة... لقد كنت نشأت على حب والدين ، ما شككت قط فى انهما والداك . . . فلما انكشف لك القناع فجأة عن زيف ما كنت تخاله حقيقة ، انهارت ثقتك بالأشياء . . .

أوديب (ملتفتاً إلى الشرفة)

صه ! . . ماهذا الضجيج ؟ !

الشعب (فى الخارج يصيح)

أيها الملك أوديب ! .. أيها الملك أوديب ! ..

صوت (فى الخارج بين الشعب)

هذا ترسياس قد أقبل . . استشره . . فأنه يوحى إليه من السماء ! . .

(يدخل ترسياس الضرير يقوده غلام)

ترسياس

بعثت فى طلبي يا أوديب ؟ . .

أوديب

نعم .

ترسياس (وهو يترك يد الغلام ويشير اليه بالخروج)

هل نحن وحدنا ؟

(جوكاستا تقود أولادها وتخرج بهم)

أوديب (وقد رأى البهو يخلو)

نحن الآن وحدنا .

ترسياس

أعرف لماذا دعوتنى . . وما بى حاجة إلى وحى السماء ، لأقرأ ما فى نفسك .. الشعب يطالبك بأنقاذه . وليس علاج الطاعون هو وحده الذى يثير همك .. ولكنه الخطر القائم حولك . . الكهنة لا يحبون تفكيرك ، ويضيقون بعقليتك ، ويأنسون بمثل

« كريون » ! . . والظروف فى طيبة اليوم تماثل الظروف التى فزت فيها بالملك . . ظروف تلائم الانقلاب .. لأن كل محنة تزلزل سواد الشعب ، إنما تزلزل فى عين الوقت قوائم العرش !..

أوديب

وهل تظن كريون يستطيع أن يقضى على الطاعون ، كما استطعت أنا أن أقضى على الوحش ؟ !

ترسياس

من يدرى ؟ . إن كريون ذهب يلتمس الوحى ، وعما قليل يعود بما يصدر إليه من أمر ! . .

أوديب

وأنت يا ترسياس ؟ . يامن يؤمن الشعب بأنك ملم بعلوم البشر ، محيط بغيوب السماء .. أما من علاج لديك ، يزيل هذه المحنة التى نزلت بالناس ؟

ترسياس

لقد تقدمت بى السن .. وإنه ليجمل بى الآن أن أرقب ما يجرى من بعيد .. امض وحدك فى طريقك يا أوديب ! ..

أوديب

تريد أن تتخـــلى عنى الآن ، وأنت ترى الخطر المقبل علىّ ، وتعرف الظروف التى ستعصف بملكى ؟ ! .

ترسياس

لك يا أوديب إرادة ، وفى يدك قوة ، وفى عينيك نور .. ماذا تبغى من هرم مثلى ، واهن القوى ، كفيف البصر . ؟ !

أوديب

أدرك ما وراء كلامك . .. انى أعرفك يا ترسياس .. مثلك لا ينفض يده مما حوله إلا لأمر . . .

ترسياس

سأنفض يدى هذه المرة لأرى ما يحدث ! . .

أوديب

لترانى أسقط ، كما رأيتنى أرتفع .

ترسياس

إنها لمتعة كبرى أن أرى ماذا يجرى ، عندما أدع الأمور فى يد القدر . . .

أوديب

لن تهنأ بهذه المتعة ياترسياس ! . فانى أعرف كيف أفسد عليك غرضك . . انك تحسب زمام عرشى فى يدك .. ولكن قناعك فى يدى . . أمزقه أمام الناس ، وأكشف عن وجهك ، عندما أشاء .

ترسياس

مهلاً ياأوديب ! .. لا تدع الغضب يذهب بصوابك ! ..

أوديب

كن على ثقة أنى لن أتيح لك اللهو بى ، بل انى لقدير على أن أجعل الناس يلهون بك ! . .

ترسياس

ما ذا تستطيع أن تقول للناس ؟

أوديب

كل شيء يا ترسياس ، كل شيء . . فأنا لا أخشى الحقيقة . . بل انى لأنتظر اليوم الذى أطرح فيه عن كاهلى ، تلك الأكذوبة الكبرى، التى أعيش فيها منذ سبعة عشر عاماً ...

ترسياس

لا تكن مجنوناً ! . .

أوديب

قد أجن فى لحظة . . وافتح أبواب هذا القصر ، وأخرج إلى الشعب صائحاً : اسمعوا يا أبناء طيبة . . اسمعوا قصة رجل أعمى ، أراد أن يهزأ بكم . . وقصة رجل حسن النية سليم الطوية ، اشترك معه فى الملهاة ! . إنى لست بطلاً . . ولم ألق وحشاً . . له جسم أسد، وجناح نسر، ووجه امرأة، يطرح ألغازاً . . هذا خيالكم

الساذج ، أحب تلك الصورة ، وأذاع ذلك الوهم . . ولكن الذى لقيت حقاً هو أسدعادى .. كان يفترس المتخلفين خلف أسواركم . استطعت أنا أن أقتله بهراوتى ، وأن ألقى جثته فى البحر .. وأن أخلصكم منه . . غير ان ترسياس، هذا الضرير البارع ، أوحى اليكم ، من تلقاء نفسه لا من لدن الأله ، أن تنصبوا ذلك البطل ملكاً عليكم .. لأنه يومئذما كان يريد لكم كريون ملكاً .. نعم ، هو الذى أراد ذلك ودبره .. وهو الذى علمنى حل تلك الأحجية، عن الحيوان الذى يحبو على يدين وقدمين ..

ترسياس

صه . . صه ! . . أخفض صوتك ! .

أوديب

وهو الذى أوحى قديماً إلى « لايوس » بقتل ابنه فى المهد . . موهماً إياه .. بأن السماء هى التى ألهمته ان الولد إذا كبر ، قتل أباه .. لأن ترسياس، هذا الأعمى الخطر، صمم بأرادة من حديد

أن يقصى عن عرش طيبة وريثها الشرعى ... لقد أراد أن يكون العرش لرجل غريب ، فتم له الأمر الذى أراد ...

ترسياس

قلت لك : اخفض من صوتك يا أوديب ..

أوديب

أجل .. هذا هو ترسياس .. الذى يلقى فى روعكم انه يقرأ صفحات الغيب ، ويسمع أصوات السماء ، وهو لا يسمع فى حقيقة الأمر ، إلا صوت إرادته ، ولا يطالع إلا سطور حسابه وتدبيره ، لقد شاء ، وهو نحور ، ان يغير مجرى الأمور ، ويبدل فيما استقرت عليه نظم الوراثة ، وان يتحدى إرادة السماء ، التى أخرجت من صلب « لايوس » خليفة ، ليقيم بيده الآدمية على العرش شخصاً ، هو وليد رأسه ، وصنيعة فكره ..

ترسياس

هدىء من روعك يا أوديب ! .. فما يطفىء مصباح العقل غير عواصف النفس ! ..

أوديب

أعرفت الآن ما فى يدى ان أصنع بك ؟

ترسياس

وبنفســـك !

أوديب

لست أخاف على نفسى ، من الحقيقة .. ولو طوحت بى من فوق العرش .. إنك تعرف ان الملك ليس بغيتى .. لقد كنت فى « كورنت » مهدى الذى نشأت فيه ، بين أحضان « بوليب » الطيب و « ميروب » الرحيمة .. وما كان لهما من مطمع إلا ان يقنعا الناس انى ابنهما . وأن يجلسانى على عرشهما .. ولـكنى هربت من ذلك الملك .. باحثاً عن حقيقة أصلى .. لقد هربت من « كورنت » لأنى لم أطق الحياة فى أكذوبة .. وجئت هنا .. فأذا بى أعيش فى أكذوبة أضخم ! ..

ترسياس

لعل الأكذوبة هى الجو الطبيعى لحياتك !

أوديب

وحياتك أنت أيضاً يا ترسياس !

ترسياس

وحياتى أنا أيضا . . وحياة كل بشر . . لا تنس انك بطل هذه المدينة .. لأن طيبة فى حاجة إلى بطل .. وهى التى آمنت بأسطورة أبى الهول .. فحذار أن تفجع الشعب فى عقيدته !..

أوديب

ما من شىء يرغمنى على الصمت إلا خوفى أن أفجع زوجى وأولادى فى إيمانهم ببطولتى .. ولاشىء يؤلمنى إلا اضطرارى إلى هذا الكذب الطويل عليهم . . إنى لأتحامل على نفسى ، حتى لا أصيح بهم ، وهم يروون أمامى قصة أبى الهول : « لا تصدقوا هذا الهراء ! ان الحقيقة يا أولادى هى . . .

ترسياس

حذار يا أوديب .. حذار .. ماأشد خوفى أن تعبث أصابعك

الطائشة بقناع « الحقيقة » . . وأن تدنو أناملك المرتجفة من وجهها وعينيها . . لقد هربت من « كورنت » هائماً خلفها ، ولكنها أفلتت منك .. ولقد جئت طيبة تعلن أنك مجرد عن الأصل والنسب ، لتكشف للناس عنها .. فابتعدت هى عنك . . دعك يا أوديب من « الحقيقة » .. لا تتحداها . .

أوديب

ولماذا تتحدى أنت السماء يا ترسياس ؟.. أتراك أصلب منى عوداً ، وأمضى عزماً ، وأحد بصراً ؟ . .

ترسياس

لست أحدّ منك بصراً يا أوديب . . فأنا لا أرى شيئاً .. ولا أبصر فى الوجود إلها إلا إرادتنا . لقد أردت ، فكنت أنا الأله .. ولقد أرغمت طيبة حقاً على أن تقبل الملك الذى أردته أنا لها .. فكان لى ما أردت .. كما ترى . .

أوديب (بنبرة تهكم)

أخفض صوتك يا ترسياس .

ترسياس

لا تسخر منى !.. ولا تحسبن ، لوصح عزمك على تنفيذ وعيدك ، أنى عاجز عن مواجهة الناس !.. افتح أبوابك إذا شئت .. واخرج إلى شعبك ، وارفع عقيرتك فيه بما تشاء .. عندئذ تعلم ما سيقول ترسياس !..

أوديب

ماذا ستقول ؟

ترسياس

سأصيح بملء فمى : « أيها الشعب !.. إنى لم أفرض إرادتى لمجد أطمع فيه .. ولكن لرأى أؤمن به : هو أن تكون لكم إرادة .. ما من حقد كان بينى وبين « لايوس » ، وما من ضغن كان بينى وبين « كريون » .. إنما أردت أن أطوى صفحة الملك فى هذه الأسرة العريقة .. لأجعلكم أنتم تختارون لكم ملكا ، من عرض الطريق ، مجرداً من الحسب والنسب ، لا سند له إلا خدمته لكم ، ولا لقب له

إلا بطولته فيكم . . ذلك أنه لا توجد ، فى أرضكم ، ولا ينبغى أن توجد ، إلا إرادتكم أنتم ! .

أوديب

أو إرادتك أنت ! . . أيها الضرير البارع ! . . إنك تعلم أن الشعب لا يريحه أن تكون له إرادة . . وهو يوم يراها فى يده ، يسرع فيعطيها لبطل من نسج أساطيره . . أو لأله مدثر بغمام أحلامه ! . . كأنما هو يضيق بحملها ، ولا يقوى على الاحتفاظ بها ، ويود التخلص منها وطرح عبئها ! . . ولكنك رجل أعماك الغرور . . لا تسعى حقاً إلى مجد ظاهر . . غير أنك تريد أن تكون أنت منبع الأحداث ، ومصدر الانقلابات ، ومحرك القوى التى تغير وتبدل فى مصائر الناس وعناصر الأشياء . . . إنى لأرى فيك هذا التطاول المستتر ، وأقرأ فى نفسك هذا الصلف الخفى ! . .

ترسياس

من حقى أن أتيه قليلا يا أوديب . . فأنت لا تنكر انى قد نجحت . . وما أنت على هذا العرش إلا آية من آيات إرادتى ! .

أوديب

سئمت سماع ذلك منك . . لقد دعوتك لأصغى إلى رأيك فى هذه المحنة ، لا لأصغى إلى أنشودة نخارك ! . . إن موقفك منى اليوم لا أتبينه .. هل أنت معى ؟ هل انقلبت ضدى ؟.. لست أرى على أى أساس الآن قد أقمت إرادتك ! . .

ترسياس

ذلك ما سوف تعلمه فى حينه يا أوديب .

أوديب

متى ؟

ترسياس

عندما يأتى كريون بذلك الوحى من معبد « دلف » ! . . من حسن الرأى أن أعرف شيئاً عن إرادة السماء ، قبل أن أشرع فى تكوين إرادتى ! . .

أوديب

أفى مقدورى أن أعتمد على مؤازرتك لى يا ترسياس ؟

ترسياس

إنه لمن الحمق يا أوديب أن تخشى من جانبي أمراً .

أوديب

نتنظر إذن ما يأتى به كريون .

ترسياس

دعنى الآن أذهب .. إلى أن يجىء أوان العمل .. ولن أقول لك الساعة إلاهذه : «واجه مصيرك ياأوديب .. ولاتخف .. فأنا معك ! ..

أوديب

أواثق أنت يا ترسياس ؟

ترسياس

أين غلامى الذى يقودنى ؟

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

مصيرى ؟! . ما هو مصيرى ؟

ترسياس

أين الغـــلام ؟

(يتجه أوديب إلى الباب ويفتحه ويدخل الغلام فيقود ترسياس إلى الخارج . . . أما أوديب فيبقى وحده ، ويسند رأسه إلى عمود مطرقاً . . . ولا تلبث جوكاستا أن تدخل وحدها . . .)

جوكاستا (تبحث بعينيها فى البهو)

انصرف النبى ترسياس ؟

أوديب (يلتفت إليها)

نعم .

جوكاستا

عسى أن يكون قد أخبرك بما يزيح هذه الغمة ، ويزيل هذه المحنة ! . .

أوديب (كالمخاطب نفسه)

لاينبغى أن أعتمد إلا على يدى هذه ... يدى هذه التى تعرف كيف تبطش بكل من يتعرض لى ولـكم بسوء . . . وحشاً كان أو بشراً . . أو . . إلهاً ! . .

جوكاستا

لا تهن الآله يا أوديب ! . . أنت مدين له بسعادتنا . . وهو لا يمكن أن يريد بك شراً . . . فهو الذى قادك من « كورنت » إلى هنا . . حيث وجدتنى . . وعشنا هذه الحياة الرضية ، وأنجبنا هؤلاء الأولاد البررة ! . .

أوديب

ما عدت أرى شيئا فيما يكتنفنى من ضباب ! . . كل ما أعرف هو أن كارثة تهددنى . . من أى جهة ؟ لا أدرى . . من أى يد ؟ لا أدرى . . إنى كأسد فى غابة . . يحس من حوله شباكاً منصوبة لا يعلم موضعها ولا واضعها . . إنى أتلمس كالأعمى وأتحسس . . فلا أبصر شيئاً ولا أحداً . . إنما أشم رائحة خطر يدنو منى . . .

جوكاستا

حبك لنا يا زوجى الحبيب هو الذى يخيل إليك هذا الوهم . . إن الطاعون لن يدنو من بيتنا . . ولن يمس أحداً من صغارنا . . إنما

هو وباء آخر ، أرى انك انت ناقلة الىّ ولاريب.. ذلك القلق الذى يثير ساكنك .. أنا أيضا يا أوديب ، يملؤنى ذلك الانقباض المروع ، حتى لأكاد أشعر كأن شيئاً غليظاً يخنقنى .. هنا فى عنقى .. فلا أقدر على التنفس .. وأحس كآبة مظلمة تغرق فيها نفسى ، كما يغرق ميت فى ظلام قبر ! ..

أوديب

صه .. لا تذكرى الموت يا جوكاستا ..

جوكاستا

أرأيت كيف يزعجك انقباضى .. كما يزعجنى قلقك وهمك .. يحسن بنا يا أوديب أن نطرد عنا هذه الأشباح .. ما من ريب ان هذا الجو المشبع بالشقاء حولنا فى هذه المدينة ، قد نشر فى نفوسنا هذه السحب القاتمة المكفهرة ..

أوديب

ربما ..

جوكاستا

مهما يكن من أمر ، فأن من واجبنا التجلد واظهار البشر ، رحمة بأولادنا ! .

أوديب

نعم .. أين أنتجونه ؟

جوكاستا

هذه البنت يا أوديب تؤمن بك اكثر من إيمانك بنفسك .. لقد تركتها الساعة وهي تقول لأخوتها إنك لا بد منتصر على الطاعون ، كما انتصرت على أبى الهول .. لأن الألهة لم يضعك على هذا العرش عبثاً . . .

أوديب (فى شبه همس)

ابنتى العزيزة ! ..

جوكاستا

إنها تعتقد أن مصيرها معلق بمصيرك . . ولطالما قالت لى إنها لا ترجو من غدها شيئاً إلا أن تعيش فى معبد بطولتك، وان ترى الدنيا كما تراها أنت . . وأن تكون لها عيناك ، تبصر بهما ما فى الحياة من أحجيات وأسرار وألغاز . . .

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

وأنا أتمنى أن تكون لى عيناها . . تبصران لى ما فى النفس من طمأنينة ؛ وما فى القلب من صدق؛ وما فى الوجود من صفاء ! . .

جوكاستا (تتسمع)

إصغ يا اوديب ! . . ما هذه الضوضاء ! . .

الشعب (فى الخارج يصيح)

جاء كريون . . . جاء كريون ! . .

أوديب (ناظراً إلى جهة الشرفة)

نعم . . . جاء . . . ترى ما الذى جاء به أخوك ؟

جوكاستا (وهى ناظرة إلى جهة الشرفة)

لا بد انه جاء بنبأ سار . . . فقد عقد على جبينه اكليلا من الزهر ! . .

أوديب (عند الشرفة)

وهـــذا كبير الكهنة معه . . وهما يشقان الطريق بين جموع الشعب . . ويشيران إلى الناس بالتحية . . .

جوكاستا

انهما يدنوان من باب القصر . . سأذهب أنا ، لأدعكم تعكفون على ما فيه صلاح المدينة . . .

أوديب

إنى أتحرق شوقاً الى معرفة ما جاء به . . .

جوكاستا

أرجو أن تعلم منه الآن ما يقر فى نفسك الراحة ، ويشيع فيها الهدوء . . .

(تنصرف)

أوديب (فى همس)

نعم . . سأعلم الآن . . .

(يدخل كبير الكهنة وكريون . .)

الكاهن

هذا كريون قد عاد من معبد « دلف » . . بقول عظيم ، آثرت ان يفضى به اليك فى خلوة يا أوديب . . إذا أذنت له فى الكلام . . .

أوديب

إنى مصغ إليه . . فليفض الينا بكل ما لديه . . .

كريون

إليك يا أوديب ما انتهى إليه على . . لقد كشف لنا الوحى عن سر هذا الغضب ، الذى أنزلته السماء بأرضنا . . .

أوديب

ما هو هذا السر ؟ أسرع ! . .

كريون

فساد على هذه الأرض ، يجب أن يزال . . وإلا كان مصيرنا نحن إلى زوال . .

أوديب

أى فساد ؟ !

كريون

إثم يدنس طيبة ، لابد من محوه .

أوديب

أفصح ! . .

كريون

دم على أرضنا قد سـفك ، ولا مفر من غسل ذلك الدم بالدم . .

أوديب

دم من ؟ . . من الذى سفك دمه ؟

كريون

لايوس . . . قبل أن تأتى الينا كان علينا ملك يسمى لايوس . .

أوديب

رف . . . أعرف . . . أعرف اســـمه ولم أره
ط . . .

كريون

هذا الملك مات . . مقتولا ! . .

أوديب

مقتولا ؟ !

كريون

وإن أمر الآله صريح . . يجب أن يقام العدل وأن يثأر
من القاتل ! . .

أوديب

إذا كان هذا كل ما جئت به فهو حق . . ولـكن هذه
الجريمة فيما أرى قديمة العهد . .

كريون

مضى عليها نحو سبعة عشر عاماً .

أوديب

وهل من الميسور بعد هـــذا القدر من السنين ، أن نتعقب آثارها . . وأن نميط القناع عن وجه القاتل ؟ !.

كريون

قال الأله : إبحث تجد . .

أوديب

ليس أحب إليّ من البحث . . وما حياتى كلهـــا سوى بحث . . . وما دام الأله ، كما تقول ، هو الذى يأمرنى الآن بالبحث والتنقيب ، فلن يجدنى إلا مطيعاً . . أسمعت منى يا كبير الكهان ؟ . .

الكاهن

سمعت .. وأرجو أن تمضى إلى النهاية فى بحثك عن القاتل !..

أوديب

ها أنذا أبحث من الفور .. أخبرنى ياكريون : أين قتل لايوس ؟.. أفى قصره ؟ أم فى المدينة ، أم فى خارجها ؟..

كريون

كان لايوس قد غادر طيبة ، حاجاً إلى معبد « دلف » ليستشير الوحى ، كما كان يقول ، فى أمر ولده الذى أسلمه للموت قديماً بأمر السماء ..

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

بأمر السماء !.. نعم .. يالذلك الملك المسكين !.. وبعد؟..

كريون

ليس هنالك بعد .. إنه لم يعد إلينا منذ ذلك اليوم الذى ذهب فيه ..

أوديب

أو ما من شاهد رآى أوسمع شيئاً عما وقع له ؟..

كريون

كل الشهود قد طواهم الموت .. ما خلا واحداً . . استطاع أن ينجو بجلده .. وما علمنا منه إلا أمراً واحداً ..

أوديب

ما هو ؟.

كريون

لقد روى أن جماعة من اللصوص قطعوا الطريق على الملك لايوس ، وقتلوه مع حاشيته ..

أوديب

أو يجرؤ لصوص على مثل هذا الاعتداء على ملك ؟!

كريون

هذا ما روى لنا ..

أوديب

ما أحسب أولئك يعتدون على الملك .. ما لم يكن أحد هاهنا .. قد دفعهم الى ذلك دفعاً ، وحرضهم تحريضاً ، ونقدهم على ذلك ثمناً ..

كريون

هذا ما خطر أيضاً على بالنا فى ذلك العهد .

أوديب

ومع ذلك ما فعلتم شيئاً للبحث عن القتلة أو الكشف عن اليد التى حركت الجريمة ؟

كريون

لقد كنا فى ذلك الوقت مشغولى البال ، منهوبى الخاطر ، بكارثة أروع ، دهمتنا وأقضت منا المضاجع !..

أوديب

أى كارثة أعظم من قتل ملـككم الجالس على عرشكم ؟!

كريون

أبو الهول !.. لقد ظهر فى ذلك الوقت ، يقتل النـــاس بألغازه ، خلف أسوار طيبة .

أوديب

نعم .. نعم .. يا لـكم جميعاً من حمقى !.. كل شىء يتضح الآن لعينى !.. إنى أكاد أرى المدبر لكل ذلك .. وأعرف اليد التى حركت .. والإرادة التى دفعت ..

الكاهن

ماذا تقول يا أوديب ؟ !. أعد مرة أخرى ما لفظت شفتاك ؟ !.

أوديب

لا شأن لك بما لفظت شفتاى !.. انكم تنتظرون منى عملاً ، وتريدون عدلاً ... إن قاتل لايوس يجب أن يقدم اليكم .. حتى ولو كان فى ذلك ما أكره ... حقاً .. لقد أصبتم ! .. ما كان يخطر لى على بال ان قوائم عرشى غائصة فى دماء ملك ! .. وما كنت اخال من أراد ذلك يبلغ به الأمر حد الجريمة ! .. لن أتردد .. نعم .. أسامعون أنتم ؟.. لن أتردد فى تسليم القاتل .. لا إنقاذاً لطيبة وحدها .. بل انقاذاً لضميرى ! .. ياكبير الكهان ! .. اذهب واعلن إلى الناس انى مبادر الى تنفيذ ما جاء به كريون .. سأدفع اليهم بالقاتل ! ..

الكاهن

أتعرف يا أوديب من هو القاتل ؟ ! .

أوديب

ليس من العسير علىّ أن أعرف الآن . . . اذهبا الساعة واتركا الأمر لى . . . عجباً ! . . ما بالكما قد جمدتما فى الأرض كتمثالين ؟ ! .

الكاهن

أواثق أنت من انك ستقتص من قاتل لايوس ؟ ! .

أوديب

أتشك فى ذلك أيها الكاهن ؟ . . مهما يكن قدر هذا الرجل فيكم ، فأنى مسلمه إليكم ، لينال جزاء ما اقترفت يداه ! هذا وعدى الذى لن أرجع فيه أبداً . . . مهما يشق على نفسى الوفاء به .. فكل عزيز على يهون أمام هذه الجريمة الشنعاء ! ..

ومنذا يطمئن بعد اليوم إلى إنسان اجترأ على قتل ملك ! . .
سأكشف عن وجهه القناع ، وأقدمه إلى العدالة ، حتى ولو كان فى ذلك وبال علىّ ، وهلاك لى ! . .

الكاهن

معرفتك للمجرم يا أوديب ، قد طرحت عنّا عبئاً ثقيلا ! . .

أوديب

أى عبء ؟ . .

الكاهن

عبء الأفضاء باسمه اليك ! . .

أوديب

أو كنتما تعرفان ، أنتما أيضا ، من هو ؟ . .

الكاهن

كنا نعرف . . فلقد جاء باسمه كريون ، فيما جاء به من معبد دلف ! . .

أوديب

أو لم تدهشا عندما عرفتما المجرم ؟

الكاهن

كل الدهش يا أوديب . . . فهو آخر من كان يرقى اليه الظن ! . .

أوديب (كالمخاطب نفسه)

نعم . . ذلك الرجل الجليل القدر . . الرفيع المكان . . المبجل من كل إنسان ! . .

الكاهن

إنه لكذلك حقاً . . وإنه ليحزننا أن يكون هو المقترف لمثل هذا الأثم ! . .

أوديب

حزنى لا يقل عن حزنكما . . ولكن العدالة فوق المراتب . . ودم القتيل يجب أن يغسل بدم القاتل . . . كذلك أمرتك السماء يا كريون .. وإنى لهذا الأمر مطيع ! . .

الكاهن

ما كنا نحسبك تطيع أمر السماء بهذه السرعة ! فاغفر لنا ما سلف من سوء الظن بك . . فأنت أعظم نفساً مما كنا نتخيل . . . ولكن . . هل لنا أن نسألك عما أسكتك طول هذا الزمن عن القاتل ؟ . .

أوديب

كنت أجهل كل شيء عن هذه الجريمة . . حتى اليوم .

الكاهن (ناظراً إلى كريون)

ماذا تقول يا أوديب ؟ !.

أوديب

لماذا تتبادلان هذه النظرات ؟ ..

الكاهن

إنا لنعجب كيف تستطيع أنت أن تجهلها ؟ ! .

أوديب

وما وجه العجب ؟

الكاهن

انت يا أوديب أوثق الناس صلة بسر الجريمة ! ..

أوديب

اذا كنتم تقصدون جوكاستا . . فثقوا انها لا تعلم من أمرها شيئاً . . واذا كنتم تقصدون صلتى بالقاتل أو المحرض على القتل ، فأنه ليدهشنى كيف انكم أنتم ما شككتم فيه قط ، طول هذا الزمن ، وهو قائم بينكم موضعاً للثقة ، مرجعاً للمشورة ! . .

الكاهن

وهل كنت تريد أن نرتاب فى هذه الذات الرفيعة بغير دليل . . وان نتهم هذا المقام الجليل بغير أمر من الآله أو وحى من السماء ؟ !

أوديب

الآن وقد عرفتم وحى السماء ، وانكشف لكم النقاب عن وجه القاتل ، فهاكم قرارى : قد حق الجزاء على الآثم ،

لقد أراد أن يغير بيده المصائر والأقدار.. فلم يقم أمام ارادته شيء.. حتى ولا الضمير !.. اذهبوا إليه ولا تحجموا.. والقوا فى وجهه الأتهام صريحاً . . دون أن تأخذكم من قداسته رعدة . . ولا من جلاله روعة !..

الكاهن (ناظراً إلى كريون)

أو تأذن لنا فى ذلك حقاً يا أوديب ؟!..

أوديب

مرة أخرى تتبادلان هذه النظرات !.. ما ظنك بى أيها الكاهن !.. أو تحسبنى لا أقوى على تنفيذ هذا الأمر ؟.. وأنت يا كريون ؟.. أما عهدتنى قبل اليوم خليقاً بملاقاة الصعاب ، جريئاً على مواجهة الحرج ؟!.

كريون

ما من أحد ينكر عليك شجاعتك يا أوديب !.. لقد

واجهت من الخطر ما لم يستطعه أحد من أهل طيبة .. وكان لك وحدك الظفر !.. ولكن .. ليس كل الناس مثلك .. إنك تحملنا ما لا نطيق من الحرج ، وأنت تطلب إلينا أن نواجه بالاتهام ذلك المقام الجليل !..

الكاهن

حقاً .. لو كان فى الإمكان أن تجنبنا هذا الموقف الأليم .. لأسديت إلينا يداً لا ننساها لك ..

أوديب

تريدان أن أتولى الأمر بنفسى ؟..

الكاهن

نعم .

كريون

هذه ولا ريب خير وسيلة .. لقد انتهى إليك يا أوديب

وحى « دلف » ، وعرفت أن اسم القاتل قد غدا معلوماً . . وان القصاص العاجل هو الثمن المرجو لأنقاذ طيبة . . فلم يبق أمامك إلا أن توقع هذا القصاص سريعاً . . بلا جلبة ، ولا ضجيج . . وعلينا نحن بعدئذ أن نعلن الأمر إلى الناس !..

أوديب

لكم هذا . . . ولن يكلفنى ذلك كبير عناء . . ولكن الذى يزعجنى . . .

كريون

أسرتك ؟ . .

أوديب

أسرتى ؟ . . وما دخل أسرتى هنا ؟ ! . أجـــل . . صدقت . . . فى الحق أرى جوكاستا شديدة الأيمان بهذا الرجل ! . . شأنها فى ذلك شأن الناس جميعاً فى هذه البلاد . . . وإنها لرنة سوف تكون بعيدة الصدى ، بالغة الوقع ، يوم يعلن اسم القاتل . . . ولكن الذى أرجوه منكما هو أن تذكرا . . .

كريون

ماذا ؟ . . ما سوف يترتب على ذلك من آثار تتصل بالعرش ؟ . .

أوديب

لست افكر الآن فى ذلك العرش . . وقد لطخته تلك اليد بالدماء ! . . كلا . . إنما أردت أن تذكرا أن ذلك الأثيم قد ينكر التهمة ، ويرمى موجهها بالزور والبهتان والتلفيق والتزوير . . وقد يسميها مؤامرة دبرت لهلاكه ، من أجل غاية فى النفس . . يحسن أن تبقيا ها هنا . . سأدعوه أنا . . لتخبراه بما كشف عنه الوحى . . . وبعدئذ أتولى أنا البقيـــة . . .

الكاهن

ستدعو من ؟

أوديب

قاتل لايوس . . إنه ليس بعيداً عن هذا المكان . . .
انتظرا . . . سأرسل فى طلبـــه . . .

الكاهن (ناظراً إلى كريون)

أوديب ! . .

أوديب

عجباً ! . . لماذا تتبادلان دائماً هذه النظرات ؟ ! .

الكاهن

أنت تعـــلم أنه ليس بعيداً عن مكاننا الآن .

أوديب

ربما . . . لقد كان وعد بالمجىء عند حضوركما . .

لكأنه كان يعرف ما ينتظره . . . فلقد ألقى فى نفسى الشك ، فيما سيأتى به كريون . . ولكنى لن أمهله طويلاً . . لابد من طلبه . . . (يتحرك)

الكاهن (يستوقفه)

أين تذهب يا أوديب ! . . قاتل لايوس ليس بعيداً عنا . .

كريون

إنه ليس بعيداً عن هذا القصر .

الكاهن

إنه ، كما تعلم ، فى هذا القصر الآن . . لم يبعد عنه خطوة . .

أوديب

فى هذا القصر . . الآن ؟ . . ماذا تقصدان ؟ .

الكاهن

إنك تعرف يا أوديب ما نقصد ، ومن نقصد ! . .

أوديب

قاتل لايوس فى هذا القصر ؟

الكاهن

وفى هذا البهو . . كما تعلم ولا ريب .

أوديب

أفصحا ! . .

الكاهن

يا للويل ! . . أو كنت تجهل طول الوقت ما نعنى ؟ .
من كنت تتهم إذن غيرك يا أوديب ؟ !.

أوديب

غيرى ؟ ! . ماذا أسمع منك ؟ . .

الكاهن

عجباً ! . . أما كنت تعرف أنك أنت يا أوديب قاتل لايوس ؟ . .

أوديب

أنا ؟ ! . قاتـــل لايوس ؟ ! . أجننت أيها الكاهن ؟ ! . .

الكاهن

لم أجن . . ولكنه الوحى الذى جاء به كريون من معبد دلـــف .

أوديب

الوحى قال إنى أنا القـــاتل ؟!..

الكاهن

تـــكلم يا كريون !..

كريون

أجل .. تلك هى الحقيقة .. أرويها كما سمعتها ..
ولا أزيد حرفاً على ما سمعت .. هكذا أوحت السماء :
« أوديب هـــو قاتل لايوس »!..

أوديب (فى ضحكة مغتصبة)

أنا القاتـــل ؟!. أهـــذا معقول ؟!.

الكاهن

إنا حقاً لفى حرج شديد .. ولكن ...

أوديب

ومتى قتلت ملكـــكم وأنا لم أره ؟ .. ومتى فعلت ذلك وأيـــن ؟ ..

الكاهن

لسنا ندرى .. وليس إلينا نحن توجـــه هذه الأسئلة .. انمـــا نحن نبلغك ما جاءنا به الوحى ...

أوديب

وحى من ؟ . وحى كريون ؟ أو وحيكم يا رجال الديـــن ؟ ! .

الكاهن

ماذا تقـــول يا أوديب ؟ ! .

اوديب

يا لها من ألعوبة مكشوفة الستر .. وأحجية مهتوكة القناع .. فى بلد الألغـاز والأحاجى ! .. يا لـكم من حمقى ! .. لا يستطيع أحـــدكم حتى أن يجيد حبك أحبولة من الحبائـــل ! ..

الكاهن

لا تسرف فى مثل هـــذا القول يا أوديب ! ..

أوديب

صه ! .. إنى أرى الأمر الآن فى وضح النهـــار ! ..

لقـــد انـكشف القناع حقاً .. لا عن وجه قاتل وجريمة .. بل عن وجه مؤامرة ومتآمرين .. لا تحسبن يا كريون ، وأنت يا كبير الـكهان ، انى من البلاهة حتى أقع فى مثل هـذه الشراك التى لا يقع فيهـــا صغار الطير .. أو انى من الضعف حتى أعجز عن أن أنزل بـكما وبـكل من يظاهركما ، فى العلن أو الخفـاء ، كل لون من ألوان العقـاب !..

الـكاهن

مهـــلاً يا أوديب !..

أوديب

إنى ما أثبتّ لـكم بعـد انى خليق ان اسمى بطلاً !..

ان قهرى لوحش ، لن يقاس بذلك البأس الذى سأقهر به الخـــونة ! . .

كريون

من هؤلاء الخـــونة ؟

أوديب

أنت على رأسهم يا كريون ! . . أيهـا الطامع فى عرشى ! . لقـد غرر بك هؤلاء الكهان . . ولكنى سأجعل منكم جميعاً مهزلة يضحك منهـا النـاس ! . .

كريون

كفى يا أوديب ! . . إنى أمنعك من أن تتهمنى بالخيانة ! . تذكر انى شقيق زوجك . . وانى لا أوذيك أبداً

ولا أوذى جوكاستا من أجل مطمع . ! . لقد كان السلطان فى يدى قبل أن تقدم علينا . . فنزلت لك عنه ، طلباً لمنفعة الشعب ، وطاعة لنصيحة أهل القداسة والألهام . . .

أوديب

وأنت اليوم تنقضّ علىّ ، بحجة إنقاذ الشعب أيضاً ، وطاعة لنصيحة المحبين لك من رجال الدين !..

الكاهن

لا ترسل القول جزافاً يا أوديب !.. إن رجال الدين يعرفون أن عروش الملوك ترفع وتخفض بيد الأله ، لا بأيدى البشر . . وما كان لنا أن نأتى إليك فى هذا الأمر العظيم ، إلا ونحن نعلم أن إلهنا قد أنزل اللعنة بهذه الأرض ، وأنه قد أوحى إلينا أن

نزيل أسبابها ، ليرفع غضبه عنا . . ولقد وعدتنا أنت بالعون ، وبتنفيذ أمر الأله . . ولقد جئناك به ، ونحن نذوب ألماً وحرجاً . . وكان عليك أن تتلقى إرادة السماء بإذعان . . لا أن تلقى علينا رعدك وبرقك ، لتخفى صوت الحق الذى هبط من أعلى !..

أوديب

صوت الحق ؟! . ما هو صوت الحق هذا الذى تسمعونه أنتم ولا أسمعه أنا ؟!.. أليس لى مثلكم أذنان فى رأسى ؟!.

الكاهن

صوت الحق يا أوديب ، لا يسمع بالأذن ولا بالرأس .. ولكن . . بالقلب !..

أوديب

نعم . . بمثل هـذا الكلام ، أيهـا الكاهن ، تريد أن تلقى فى روعى انى بعيـد عن سمائكم . . وانى موضع لعنتها ، ومهبط غضبها . . وانها إنما أرسلت الطاعون على هذه الأرض ، لأنى فيها مقيم . . ولماذا أنا ملعون من الأله ؟.. ألأنى لا أتقبل ما تنسبونه إليه ، إلا بعد بحث يرضى عقلى ؟.. لو قلتم ذلك وجرؤتم عليه ، لما وجدتم منى اعتراضاً . . ولكنكم تقولون شيئاً يلائم خطتكم المبيتة : تقولون إنى ملعون من السماء لأنى قتلت لايوس ! وان الدم الذى دنس طيبة وابتلاها بالوباء ، لا يغسله غير دم القاتل !.. يالهـا من مؤامرة !.. يالهـا من مؤامرة !..

الكاهن

إن الغضب لا شك قد أعماك يا أوديب !.. لقـد بلغناك ما جاء به الوحى .. فتدبر أمرك !..

أوديب

إن الأمر لا يحتاج الى طويل تدبير !.

الكاهن

لك من الوقت ما تشاء .. ولم يبق لنـــا نحن إلا أن ننصرف ...

أوديب

تنصرف؟! . أو تحسب من يتفوه بما تفوهتما به اليوم ، يستطيع أن ينصرف بسلام ؟!.

الكاهن

ماذا تعنى يا أوديب ؟

أوديب

أيها الكاهن !.. إنك لم تعرف بعد أوديب ! . . هذا

الذى اجترأت على وصفه بالقاتل ، وزعم أبى
أرض طيبة بالدماء ! . . لن تنصرف بسلام
الكاهن . . ولا أنت يا كريون !..

كريون

أوديب ! . .

الكاهن

لن تنصرف بسلام ؟!.

أوديب

لم يبق أمامكما غير طريقين ، تستطيعان أن تنصرفا إلى
أيهما شئتما . الموت أو النفى ! . .

الكاهن (وكذلك كريون فى صيحة)

الموت أو النفى ؟!.

أوديب

إن الأمم لاتئ يتآمر على العرش غير القتل من عقاب ! . .

ولكنى أمنحكما الخيار . . رأفة منى بكما . . وكان الحزم

يقضى أن أكون شديد المراس . . وأن أقتلع

جذوركما من الحياة ، كما يقتلع عشب نتن خبيث . .

ينفث فيما حوله الفوضى والفساد . . لقد مضى فى

أمركما حكمى : إما النفى وإما الموت ! . . النفى

أو الموت ! . .

الفصل الثانى

« ساحة أمام القصر . . . جوقة
الشعب محتشدة . . . وقد وقف
منها أوديب والكاهن وكريون
موقف المائلين بين أيدى
قضاة . . . . . »

* * *

أوديب

يا أهل طيبة ! ! . . إنكم الآن أمام جريمة ضد شخصى وعرشى . . اقترفها هذان المتآمران ! . ولقد قضيت فيها بالحكم الذى أراه عادلاً . . ولكنى لن أنفذ حكمى ، حتى أقوم بتحقيق جرمها فى حضوركم.. فأنا لا أحب أن يعمينى الغضب عن الحق ! . سأكشف

عن وجه الحقيقة بيدى الآن . . لتبصروا إن ا ـرم سافراً ! . .

الجوقة

من كان يظن يا أوديب أن كريون وكبير الكهنة يتآمران عليك ؟ ! .

أوديب

أنت فى سذاجتك أيها الشعب لاترى ما ينسج فى الظلام ! . . ولكنى الساعة ممزق لك الستار . . لترى فى النور، تلك الأيدى الأثيمة التى أرادت أن تلطخ عرشك بالأثم والدم ! . .

الجوقة

الويل لكل من يمس شعرة منك ، أيها الملك ! . .

نحن لن ننسى أبداً أنك البطل الذى أنقذنا من أبى الهول ! . . اضرب أعداءك يا أوديب ، بلا رحمة . . ونحن معك ! . .

الكاهن

ما أبرعك يا أوديب فى تأليب الشعب علينا ! . . وزجك بنا فى موقف المجرمين ! . . وليس لنا من جرم إلا إخبارك بما أوحت به السماء من أمر ، لتزيل عن طيبة هذا الطاعون ! . .

أوديب

أما زلت أيها الكاهن الخائن تسمى هذه المؤامرة وحياً من السماء ؟ ! .

الكاهن

لا تغضب يا أوديب ! . وانت الذى قلت الساعة إنك لا تريد أن يعميك الغضب عن الحق . . تمسك بالحلم ، وتوسل بالأناة ، واشرع فى التحقيق الذى وعدت به . . واسرع فيه ، حتى لا تشغل الشعب به ، عما يعانيه من شقاء ! . .

أوديب (للجوقة)

أترى حقاً أيها الشعب انى أشغلك بهذا التحقيق عما أنت فيه من شقاء ؟ ! .

الجوقة

امض يا أوديب فيما شرعت فيه .. واكشف لنا الستار .. فنحن مشوقون الى رؤية ما وراءه من أمور ! ..

أوديب

أرأيت أيها الكاهن الآثم كيف طاش سهمك !.. تلك هى إرادة الشعب ! ..

الكاهن

يا له من ساذج حقاً .. هذا الشعب ! .. نعم .. هذا الشعب الذى يطعم بالخيال لا بالحقائق ! .. لقد نسى الطاعون الذى يفتك به .. ونسى أنك لم تجد علاجاً

لأنقاذه . . ونسى وحى السماء الذى كان ينتظر مجيئه . . ولم يذكر إلا شوقه إلى رؤية أوهام ، تزعم له انك رافع عنها الستار ! . .

أوديب

لا تهن الشعب أيها الكاهن ! . . إنك ماثل أمام محكمته . . وهو الذى سيدينك ، ويقرنى على عقابك ، عندما يرى جرمك عارياً ، وقد جردتك من سرك ! . .

الكاهن

افعل يا أوديب وعجّل ! . . . انك لم تزل البطل الذى يفتن الناس بكشف الأسرار ، وحل الألغاز ، ولكن الشعب سوف يعلم انى لا أخفى سراً ، ولا أحمل لغزاً . . إنما أردت صادقا ان استعين بالآله

على طرد الطاعون من أرضنا ... ولقد باغتك بما جاء به الوحى .. وتلك كل جريمتى عندك !..

أوديب

كلا . . أيها الكاهن . . جريمتك أنت تعرفها ، كما يعرفها كريون . . ومن يظاهركما فى الخفاء . . ولن أتولى أنا عرضها أمام الشعب .. بل أترك لكما هذا الشرف . . حتى لا يقال إنى أسأت النقل ، أو تعمدت التحريف !.. تكلم أنت أيها الكاهن بما لديك .. أو دع شريكك يتكلم !..

(الملكة جوكاستا
تخرج من القصر)

الجوقة (ملتفتة)

الملكة جوكاستا !..

جوكاستا

ألى أن أحضر هذه المحاكمة ؟.. إن التهمة التى توجهها، يا أوديب ، إلى هذين الرجلين لخطيرة !..

كريون

أتصدقين يا جوكاستا أن أخاك كريون يطمع فى عرش زوجك ؟!.

أوديب

لست أنا الذى يحاكم أخاك يا جوكاستا .. بل الشعب هو المحكمة .. إنما أنا رجل يتولى تحقيق الجريمة .. وسترين الآن بعينيك ، كما سيرى الناس من حولك ، ما يسفر عنه التحقيق !..

كريون

لقد قضى فى أمرنا بالموت أو النفى !..

أوديب

ولن أرضى بأخف من هذا العقاب أبداً ، لمن يتآمر على العرش !.. فهذه مؤامرة لو تمت ، لكان من عواقبها النفى لى أنا أو الموت !..

جوكاستا

يجب أن يكون الدليل دامغاً يا أوديب ، قبل أن تنفذ فيهما هذا الحكم الصارم !..

أوديب

ها هو ذا التحقيق يجرى علانية . . أمامك يا جوكاستا ، وأمام الناس جميعا . . وسأذهب

فيه إلى الأغوار ، وأنقب فى الأعمـــاق . . لأخرج لكم فى نهاية الأمر ، الحقيقة ناصعة لا يشوبها إبهام . .

الجوقـة

امض فى عملك يا أوديب . . فأنت خير من يميط اللثام عن سر الأشياء ! . .

أوديب

وددت أن يجرى الأمر فى حضور ترسياس . . وأنا أعرف منزلته فيكم . . . ولقد بعثت فى طلبه . . . قبل خروجى إليكم . .

الجوقـة

نِعْمَ الذى صنعت يا أوديب ! . . إن وجود هـــذا الشيخ المقدس بيننا الساعة ، لمما يزيد فى اطمئناننا . .

جوكاستا

ما من أحد مثلى يريد أن يدخل قلبه الاطمئنان .. فأنا أعرف الناس بكريون . . فهو أخى الذى نشأت معه . . وان طباعه المستقيمة ، وخلقه السوى ، وضميره النقى ، لمما يلقى فى نفسى الدهش لفعلته ! .. إنى لا أعرف بعد كيف تآمر ضد العرش ! .. كل ما انتهى إلىّ ، هو أنه موصوم بهذا الجرم .. ولكنى لست أدرى كيف أقدم على ذلك ؟ ! .

أوديب

ستعرفين الآن .. لا من فمى .. ولكن .. من فمه هـــو . .

(يظهر ترسياس
يقوده غلامه)

الجوقة

ها هو ذا ترسياس قد أقبل . .

أوديب

أفسحوا له طريقاً !..

ترسياس

إنى أعرف لماذا أنتم ها هنا محتشدون !.. فحذار أن تسألنى رأياً يا أوديب ، أو تطلب إلىّ كلاماً !..

أوديب

لن أفعل .. إنما أردت أن تكون حاضراً هذه المحاكمة .. لأن مثلك لا ينبغى أن ينسى فى الأحداث الجسام .. فاصغ إلى ما سيقال الآن ، وافهم ما تنطوى عليه هذه الأقوال من مرمى !..

ترسياس

إنى مصغ يا أوديب !..

أوديب

والآن إليكم أيها الناس كيف تآمر هذان الرجلان !..
لقد وعدت أن أترك المتهمين يبسطان الأمر .. توخياً للعدل . . ولن احنث بالوعد . . هلم يا كبير الكهان .. تكلم أنت أولا . .

الكاهن

ماذا أقول ؟.. لقد قذفت بنا يا أوديب فى هذا الموقف المخجل !.. وألحقت بنا وصمة التهمة . . وعرضتنا لأنظار الشعب خونة آثمين ، قبل أن نعرف ما هو ذنبنا ؟!. ليس عندى كلام غير ما تعرف ويعرف الناس ... لقد ارتفعت شكواكم يا أهل طيبه ، من ذلك الطاعون الذى فتك بكم ،

فلم نر حيلة لدفعه عنا إلا أن نطلب وحى السماء . .

فرأينا أن يذهب إلى معبد دلف رجل من بيت الملك،

مشهود له بالحزم فى الرأى والصلابة فى الحق والاستقامة

فى المسلك . . وكان هذا الرجل هو كريون، كما

تعلمون . . فهل ترون فى هذا العمل بأساً أو عليه

غباراً ؟ . .

الجوقة

كلا .

الكاهن

ولقد ذهب كريون إلى معبد دلف . . ثم عاد يحمل

ما أوحى به الآله من قول فى هذا الطاعون وعلته . .

ولم أشأ أن يفضى بما جاء به . . إلا إلى الملك، على

انفراد . . حرصاً منا على حبس الأمر فى أضيق حدوده ، ورغبة منا فى تجنب إثارتكم ..

الجوقة

ما الذى جاء به كريون من وحى السماء ؟

الكاهن

على كريون أن يفضى به اليكم ، إذا شاء . .

الجوقة

تكلم يا كريون ! . .

كريون

إنه شىء مروع . . لا يحق لى أن أذيعه فيكم . . إلا بأذن من أوديب ! . .

أوديب

إنى آذن لك فى أن تقول هنا كل شىء .

كريون

هاكم ما جئت به . . انقله إليكم بنصه : « السما غاضبة ، لأن أرض طيبة ملطخة بالدنس . . ملكها لايوس مات مقتولاً . . ولم يثأر بعد من قاتله . . ولن يرفع عن طيبة الغضب ، إلا إذا غسل ذلك الدم » ! . .

الجوقة

ملكنا لايوس مات مقتولاً ؟ ! .

أوديب

ليس هنا وجه العجب . . أيها الشعب . . ولكن سلوه عن القاتل ؟ . .

الجوقـة

من القـاتل ؟.. من القاتل ؟..

كريون

ثقوا أنه يؤلمنى أشد الألم أن الفظ اسمه.. وانى عندما عرفته أول مرة أصابنى من الروع مالا قبل لى بوصفه.. ولكن أوديب قـد أعماه الحرص والخوف ، فنسى منزلته من نفسى ، ومكانى منه ومن اسرته ، كما نسى غابر أيامى التى أنفقتها فى نصرته.. وخلقى الذى يأبى مارمانى به.. وطبعى الذى ينفر مما توهمه عنى ...

الجوقـة

من قاتل لايوس يا كريون ؟.. من القاتل ؟

كريون

لا ترهقوا فمى بذكر هذا الأسم العزيز .. اطلبوا إلى الملك الماثل أمامكم أن يذكره لكم ! ..

أوديب

بل اذكر انت اسمه بفمك ياكريون ! ..

الجوقة

اذكر لنا ياكريون اسم القاتل ! ..

كريون

هو .. أوديب ! ..

الجوقـة

أوديب هذا ؟ ! . أوديب ملـكنا ؟ ! . هو قاتل لايوس ؟!

جوكاستا

ما ذا أسمع منك يا كريون ؟ ! .

كريون

هكذا أوحت السماء يا جوكاستا ! . .

الجوقـة

أوديب هو القاتل ؟ ! . القاتل هو أوديب ؟ ! .

أوديب

أرأيتم يا أهل طيبة . . كيف دبرت المؤامرة ؟ ! هل

تتصورون انى أقتل لايوس .. وأنا لم أره ؟! . ألا تذكرون انى عندما هبطت أرضكم كان عرشه خالياً ، ومكانه مجهولاً ؟! ولكنهم يريدون أن أكون أنا القاتل .. ليحق علىّ بعدئذ الموت أو النفى . . لأنهم يضيقون بحكمى . . ويكرهون ، لغرض فى أنفسهم ، أن ألبث فيكم ملكاً . . .

كريون

أسأل السماء أن تصب علىّ اللعنة . . لو كان فى نفسى مثل هذا الغرض الخبيث ! . . وانى لأقسم . . أقسم أنى ما زدت شيئاً على ما سمعت ووعيت من وحى معبد دلف ! . .

جوكاستا

أنى أن أدلى برأى فيما شجر بينكما من خلاف ؟ !

لست أرى فيكما كاذباً ولا باغياً .. ما من شك عندى فى أن كريون قد سمع ما جاء به .. وقد نقله اليك يا أوديب ، وهو خالص النفس ، نقى الضمير .. ولكن وحى السماء أرفع مكاناً من أن يدركه البشر فى كل حين .. قلما استطاع بشر أن يحسن فهم الوحى الألهى ! .. إن إرادة الأله لها من المرامى ما لا يتسع لها ذهن إنسان .. فلن يكون اذن لمخلوق سلطان كامل على الغيب ، ولا قدرة كاملة على التنبؤ . . . وفى يدى الدليل : لايوس ! .. لقد خبرته نبوءة انه سوف يموت بيد أبنه . . . ابنه الذى هو من صلبه ومن بطنى . ! .. واخال ترسياس الحاضر هنا يذكر خبر تلك النبوءة ! .

ترسياس

اذكر ذلك أيتها الملكة .

أوديب (فى تهكم خفى)

حقاً .. إنه خير من يذكر ذلك ! . .

جوكاستا

ما الذى حدث بعد ذلك ؟ . . لقد هلك ذلك الأبن فى المهد . . . فقد دفع به أبوه ، عقب ولادته بأيام ثلاثة ، إلى راع حمله مغلول القدمين ، ليهلكه على جبل أجرد . . . أما لايوس فقد لقى حتفه ، كما تعلمون ، خارج هـذه الديار . . . سطا عليه ، كما أنبئت يومئذ ، جماعة من اللصوص ، قتلوه فى موضع ناء ، عند ملتقى طرق ثلاث . . . هـكذا مات الأب ، بيد غير يد ابنه ! . . فأين ذهبت النبوءة إذن ؟ . . إن الوحى كما ترون لا يصدق فى كل الأحوال . . والسماء لا تهمس بكلامها لكل الآذان . .

إنها أحفظ لسرها مما تظنون . . . ولغتها لا يفهمها كل إنسان . . وهى تؤثر أن تسفر عن نواياها بالأفعال لا بالألفاظ .. إن القول هو لغتنا نحن البشر . . أما لغة الآله فهى الفعل . . . إياكم أن تتخذوا مما جاء به كريون دليلاً . . . إنما هو شيء سمعه . . لا ينبغى أن يكون له أثر . . أو أن يرتب عليه قرار . . .

أوديب

أرجو يا جوكاستا أن تكون أذنى قد أساءت السمع ! . .

جوكاستا

لماذا ؟ . . ما هـــذا القلق على وجهك ؟ ! .

أوديب

لا شيء . . . إنما هو الموقف من غير ريب . . وما يثار فيه من غريب الكلام ، وعجيب الأتهام ، قد أوقعنى فى الخلط . . .

جوكاستا

أفصح يا أوديب ! . . واكشف عما خالجك . . . أترانى قلت شيئاً مسّك عن غير قصد ؟ ! . إن كثيراً من الكلمات الجوفاء تندس أحياناً كالغوغاء فى مواكب المعانى ! . .

أوديب

خيل إلى أنى سمعتك تقولين إن لايوس قتل عند ملتقى طرق ثلاث ! . .

جوكاستا

حقاً . . ذلك قلته .

أوديب

قلت ذلك ؟ . . قلت ذلك ؟ .

جوكاستا

ماذا دهاك يا أوديب ؟ . . نعم . . ذلك ما انتهى إلى علمى فى ذلك الحين .

أوديب

وأين كانت تلك الطرق ؟ . . فى أى أرض ؟ . .

جوكاستا

فى أرض يقال لها « فوكيس » . . حيث يفترق الطريق إلى

سيبيلين . . . أحدهما يؤدى إلى « دوليا » والآخر إلى « دلـــف » . . .

أوديب

وفى أى عهد وقـــع ذلك ؟ . .

جوكاستا

كل الناس يعرفون أن ذلك حدث قبل جلوسك على العرش بزمن قليل .

أوديب

أيتها السماء ! . . أيمكن أن يكون ذلك حقاً ؟! . .

جوكاستا

ماذا يا أوديب ؟ . . ما الذى يشغل بالك ، ويلقى هذا

الاضطراب فى نفسك ؟ ! . .

أوديب

لا تسأليني شيئاً . . . أخبريني : كيف كان لايوس ؟ .

فى أية سن كان ؟ . .

جوكاستا

كان رجلاً فارعاً . . فضى الشعر أجعده .. أما وجهه . .

ففيه منك بعض شبه . . .

أوديب

أترى حقاً لعنة السماء قـــد صبت علىّ ؟ ! .

جوكاستا

ما هذا الذى تقول يازوجى ؟ ! . إنك لتخيفنى ! . .

أوديب

أترى فيما جاء به الوحى بعض الحقيقة ؟ ! . أخبرينى أيضاً بشىء أخير . . حتى لا يبقى فى نفسى خلجة شك ! . .

جوكاستا

إنك تفزعنى ! . . سأفضى اليك بكل ما وصل إلى علمى . . .

أوديب

كيف كانت حاشية الملك لايوس ؟ . . كم كان عدد حراسه ؟ . .

جوكاستا

لم يكن يحرسه فى رحلته أكثر من خمسة رجال . .

ورائد فى الطليعة . . ولم تكن هنالك غير مركبة واحدة ، ركب فيها الملك . . .

أوديب

كفى يا جوكاستا ! . . كل شىء اتضح لعينى الآن واستبان . . لكن . . من الذى أخبرك بكل هذا ؟ . .

جوكاستا

خادم . . هو الوحيد الذى عاد حياً من ذلك السفر .

أوديب

ألم يزل قائماً بالخدمة هنا ؟

جوكاستا

كلا . . لقد سألنى أن أعفيه من خدمة القصر ، عندما

رآك قد حللت فى مكان سيده ، وجلست على عرش ملكه . . ولقد ذهب فيما أعلم إلى البرية ، ليعمل راعياً ، بعيداً عن هذه المدينة . . .

أوديب

أنستطيع إحضاره فى الحال ؟

جوكاستا

نستطيع . . ولكن لماذا تريد ذلك ؟

أوديب

آه . . يا زوجتى العزيزة ! . . أخشى أن أكون قد بحت بأكثر مما يجوز . . . يجب أن أرى ذلك الرجل أولاً . . .

جوكاستا

ستراه . . . ولكن . . ألا يحق لى يا أوديب أن أعرف ذلك الذى يشيع فى نفسك كل هذا القلق والاضطراب ؟ !

أوديب

ستعرفين . . أرسلوا فى طلب ذلك الراعى ! . .

الجوقة

لينطلق أحدنا كالريح إلى البرية فى طلب الراعى ! . .

(يجرى بعض الحاضرين
من الشعب إلى الخارج)

جوكاستا

ما الذى تريد أن تعلم منه يا أوديب ؟ . .

أوديب

هذا الراعى هو أملى الوحيد !.. أرجو أن اسمع منه قولاً يخالف ما تفوهت انت به !..

جوكاستا

يخالفه فى أى موضع ؟!.

أوديب

لقد قلت إن القاتل جماعة من اللصوص .. وإنه هو الذى ذكر لك ذلك . . . لا بد لى من سماع شهادته ، ليجلو هذا الأمر المهم : أكان القاتل جماعة حقاً ، أم كان فرداً واحداً .؟!. على هذه الشهادة يتوقف الحكم ويتقرر المصير !..

جوكاستا

مصير من ؟ مصير من يا أوديب ؟ ..

أوديب

مصيرى ! .. هنالك شىء أخفيته عنك يا جوكاستا .. كما أخفيت انت عنى خبر هذه الظروف التى مات فيها لايوس ! ..

جوكاستا

انى لم أخف عنك شيئاً ... تلك تفصيلات ما كانت تخطر على البال إلا ان يدعونا إلى ذكرها داع ، أو يدفعنا إلى تقليبها دافع . . وما هى بعد بالموضوع الذى يجمل بى ان أحادثك فيه بلا ضرورة ! ..

أوديب

أنا أيضا ما تعمدت إخفاء شيء . . ولكنها حادثة عبرت .. ما علقت عليها أهمية فى حينها ، وما ألقيت اليها بالاً ... لأنى ما عرفت شخص من قابلت ...

جوكاستا

من قابلت يا أوديب ؟ ..

أوديب

رجل فى مركبة .. يحرسها نحو خمسة رجال .. اعترضونى فى أرض فوكيس ... فى مفترق الطرق بين دوليا ودلف .. فنشب بيننا خلاف فيمن يمر أولاً .. وتطور الخلاف إلى شجار .. ودفعتنى حماسة الشباب يومئذ وفورته الى العنف ، فرفعت هراوتى فى وجه

الرجال ، واشتبكنا فى معركة .. ظهرت فيها عليهم ، ولكن ضربة من هراوتى ، فيما يبدو ، طاشت فأصابت رأس من كان فى المركبة ... وانطلقت أنا بعدئذ فى سبيلى ، حتى دنوت من أسوار طيبة ، ولقيت الوحش .. وكان من أمرى ما تعلمون ؟ .. فاذا كان ذلك الرجل صاحب المركبة هو ملككم لايوس .. فأنا إذن ضاربه وقاتله ...

جوكاستا

إلهى .. إلهى ! ..

أوديب

ولكنى كنت بمفردى .. وأنتم تقولون ان قاتل لايوس جماعة من اللصوص ... لابد من إيضاح هذا الأمر .. قبل أن أصدر فى نفسى حكماً ! ..

الجـوقـة (تلتفت)

ها هو ذا الراعى قد جاءوا به . . .

(يدخل بعض الناس ممن ذهبوا فى طلب الراعى
وهم يقودون شيخاً هرماً . . . . .)

أحد الناس

ما كدنا نخطو قليلاً . . حتى صادفناه مقبلاً . . فقد بلغه ، فيما قال ، خبر المحنة ، فجاء يصلى مع أهل طيبة ، ويضرع معنا إلى السماء ، كى تذهب عن أرضنا هـذا الوبـاء ! . .

الجـوقـة

يا له من شيخ هرم ! . .

أوديب

أدن منى أيها الرجل ! . . وأجب عما أطرحه عليك من أسئلة . . أكنت فى خدمة الملك لايوس ؟ . .

الراعى

نعم . . وفى بيته ولدت ونشأت . . .

أوديب

وماذا كان عملك لديه ؟ . .

الراعى

أرعى ما شيته .

أوديب

أتذكر كيف قتل لايوس ؟ .

الراعى

ذاك حادث قديم . . وقد ضعفت منى الذاكرة . . ووهن الذهن ! . .

أوديب

تذكر . . . تذكر . . . من قتل لايوس ؟ . .

الراعى

قتله . . فيما أذكر . . فتى قوى جلد . . .

أوديب

كيف ؟ . .

الراعى

زحم مركبة الملك عند مفترق الطرق بين دلف ودوليا . . وقام شجار بينه وبين الحراس من الحاشية . . . فتغلب عليهم وقتلهم . . وأصابت ضربة منه رأس الملك فأصمته ومات . . وهربت أنا بجلدى من المعركة . . ولم ينج غيرى . . .

أوديب

أما كانوا جماعة هم الذين اعتدوا على الملك ؟ . .

الراعى

كلا يا مولاى . . كان رجلا فرداً . . .

أوديب

لقد انجلى الآن كل شىء . . لى ولكم . . وانحسر النقاب عن وجه القاتل . . . صدقت يا كريون ! . . وصدق الوحى الذى جئت به من معبد دلف . . . التمس منك المغفرة . . ومن كبير الكهنة . . فقد أثمت بسوء ظنى فيكما . . وبتوجيهى اليكما ذلك الأتهام الباطل ! . . قاتل لا يوس بين أيديكم ، أيها الناس ! . . لن أحاول دفاعاً عنه . . فاحكموا فيه بما ترون . . وأنزلوا به ما يستحقه من عقاب ! . .

جوكاستا

أوديب ! .. أوديب .. لا تسرف هكذا فى اتهام نفسك ! .. فأنت لم تتعمد القتل .. ولم تكن تعرف من المقتول ؟ ! ..

أوديب

لا تدافعى عنى يا جوكاستا .. فأنت بضعة منى .. وما يحسن بنا أن نقيم من أنفسنا مدافعاً عما اجترحنا من ذنوب ! ..

جوكاستا

ما دمت تأبى علىّ وعلى نفسك هذا الحق .. فها هنا ترسياس يتولى عنك الكلام ! ..

ترسياس

إذا احتجت إلىّ يا أوديب ، فأنا منك غير بعيد ! ..

أوديب

كلا ... بل ابق فى مكانك ياترسياس . . ولا تتدخل ... أمرى بيّن . . لقد ارتكبت جريمة ونسيتها . . ولكن السماء لم تنسها . . إنها تريد الآن الثمن . . وتطالب بالجزاء . . ومهما يشك « العقل » فى حقيقة الصلة بين تلك الجريمة وهذا الوباء . . فأن « الشرف » لا يشك فى حقيقة الواجب الملقى على كتفى . . واجبى الآن هو أن أتخلى عن عرش رجل . . مات بيدى ...

جوكاستا

مات بيدك .. على كره منك . . ما أحسب السماء تطالبك فيه بهذا الثمن الفادح ! . .

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

إن السماء لا تظلم أبداً . . . لأنها ميزان ، لا يعرف الخلل

ولا الميل ولا الانحراف ولا الهوى . . وما نراه منها جوراً ليس إلا عجزنا عن رؤية ما توارى فى الضمائر . . ولهونا عن تذكر ما علينا من حساب . . . إنها تضيف إلى الذنب الظاهر وزر الذنب الخفى ! . . لقد كذبتُ على الشعب . . لقد خدعتُ الشعب . . .

ترسياس (صائحاً مقاطعاً)

كفى . . كفى ! . .

(يظهر عندئذ شيخ أحنى ظهره الهرم)

الشيخ (صائحاً)

أيها الناس ! . .

الجوقة (تلتفت)

من هذا الشيخ الصاعد من البرية ؟ ! . .

الشيخ

دلونى على قصر أوديب ! . . .

الجوقة

هـــذا هو قصره أمامك . . . من أنت أيها الغريب ؟ .
وماذا تريد ؟ . .

الشيخ

أنا رسول من كورنت . . جئت برسالة إلى أوديب .

أوديب

ها أنذا أيها الرجل . . اقترب . . . ما خبرك ؟ . .

الشيخ

خبر سار . . وان كان فيه ما قد يثير فيك بعض الشجن !..

أوديب

تكلم أيها الرسول . . واخبرنا بما تحمل إلينا من نبأ . .

الرسول

أهل كورنت يهدون إليك التحية ، ويسألونك أن تكون عليهم ملكاً . .

الجوقة

ملكاً ؟ ! . على أهل كورنت ؟ ! .

جوكاستا

يا للسماء . . التى تقطع وتصل ! . أرأيت كيف تظلم نفسك يا أوديب ! . لقد أردت التخلى عن عرش طيبة . . فها هو ذا عرش يأتيك من السماء ! . .

أوديب (للرسول)

وأين ذهب ملككم بوليب ؟

الشيخ

مات وثوى فى التراب ...

أوديب

بوليب مات ؟ .. كيف ؟ . أبمرض مات أم بحادث عرض ؟ ..

الشيخ

بمرض الشيخوخة .

أوديب

لن أنسى أبداً أنه كان لى فى مكان الأب الرحيم ! .. وماذا جرى للملكة ميروب ؟ ..

الشيخ

لقد أقعدها الكبر .. وهى فى طريقها إلى اللحاق بزوجها ! ..

أوديب

لقد أحبتنى هى الأخرى كما لو كانت لى أماً ... يالهما من بارين كريمين ! . انى لأذكر فجيعتهما يوم أخبرتهما بكشفى حقيقة الصلة التى تربطنى بهما .. وانى لست سوى طفل لقيط تبنياه .. لقد حاولا جاهدين ان ينتزعا من رأسى هذه الحقيقة .. ولكنى أبيت أن

أقبل حنانهما كما تقبل الصدقة . . . أرجو أن يكونا قد نسيانى ، بعد فرارى من كورنت . . وأن تكون الأيام قد شغلتهما عنى . . .

الشيخ

كلا . . لم ينسياك . . ولقد أرسلا خلفك ، فى ذلك الحين ، من يبحث عنك . . ولكنك اختفيت . . لقد مات بوليب وهو يذكر اسمك . . ويوصينى أن أجدَّ فى البحث عنك ، وأن أعرض عليك من بعده الملك .

أوديب

وكيف عرفت أنت مكانى ؟ . .

الشيخ

خطر لى آخر الأمر أن أبحث عنك فى مسقط رأسك . .

فسرت قدماً إلى طيبة .. فلما دنوت من أسوارها علمت انك انت اليوم ملكها ...

أوديب

ومن قال إن طيبة هى مسقط رأسى؟!.

الشيخ

إنى أعرف ذلك .. لأنى أنا الذى التقطك وانت طفل ، وسلمك إلى بوليب...

أوديب

أنت ؟!. التقطتنى ؟!. وأين التقطتنى أيها الشيخ ؟!.

الشيخ

فى جبـــل ذى شجر .. بالقرب من سيتـــايرون !..

أوديب

وماذا كنت تصنـــع هنـاك ؟

الشيخ

كنت أرعى المـاشية . . .

أوديب

وكيف وجـــدتنى ؟ . .

الشيخ

تلك الندوب التى فى قدميك تخبرك ! . .

أوديب

حقاً . . تلك ندوب قديمة . . نشأت عليها . . وما أخبرنى

أحد قط بشيء عن أمرها وسرها ومنشئها ! . .

الشيخ

إنها من أثر قيد ! . . لقد كنت مقيداً من رسغيك ! . . وأنا الذى فك قيدك ! . . لهذا سميت « أوديب » أى مورم القدمين ! . .

أوديب

يا للسماء ! . . ومن ذا الذى كان قد فعل بى ذلك ؟ ! . أهى أمى التى ولدتنى ، أم أبى الذى لفظنى ؟ ! .

الشيخ

لست أدرى من ذلك شيئاً . . . سل ذلك الذى سلمك إلىّ ! . .

أوديب

سلمنى اليك ؟ ! . أو لست انت إذن الذى عثر بى ؟ ! .

الشيخ

بل راع آخر .. هو الذى عهد بك الىّ .. ووضعك فى يدى .. على تلك الصورة ! ..

أوديب

راع آخر ؟! . من هو ؟! . أتستطيع أن تخبرنا من كان ذلك الراعى ؟! .

الشيخ

أذكر أنه قال لى فى ذلك اليوم إنه من رجال لايوس !.

أوديب

لايوس ؟! . ملك طيبة السالف ؟!

الشيخ

أجل .. الملك لايوس .. لقـــد قال لى ذلك الراعى إنه من خـــدامه ...

أوديب

خـــدامه كثيرون من غير ريب . . أو لم يزل حياً ، ذلك الخـــادم الذى تعنيه ؟ . . أفى إمكانى أن أراه . . وأسأله . . وأعلم منه . . ؟ .

الشيخ

هذا أمر يجيبك عنه أهـــل طيبة .

أوديب

أيها النـاس ! . خبرونى ! . . ألم يسمع أحدكم شيئاً عن ذلك الخادم الذى نتحدث عنه ! . . أما من واحد منكم رآه فى المدينة أو فى المروج ؟ . فليتكلم منكم من يعلم ! . .

لا تلزموا الصمت ! . . ها نحن الآن أولاء قد وصلنا إلى مفتاح السر . . سر مولدى . . سر حقيقتى . . الذى طالما نقبت عنه ، وجريت خلفه . . .

الجوقة

سل الملكة جوكاستا . . فربما كان لديها علم بأمر ذلك الخادم فى بيت لايوس ؟ ! .

أوديب

زوجى العزيزة ! . . ألا تعلمين شيئاً عن ذلك الخادم ؟ . .

جوكاستا (شاحبة الوجه)

أى خادم تتحدثون عنه ؟ . . لست أعلم شيئاً . . ولا ينبغى أن نعلم . . إنك يازوجى كثير الأصغاء إلى كل ما يقال . . دع هذا الأمر ، واغلق هذا الباب ، فلن تظفر من ورائه بطائـــل ! . .

أوديب

عجباً يا جوكاستا ! . كيف أغلق هذا الباب ، وقد بدأ يتفتح عن السر الذى أتوق إلى معرفته ؟ ! .

جوكاستا

لا . . لا يا أوديب ! . . لا تحفر كل هذا الحفر بحثاً عن سر . . إنما أنت تحفر الآن قبر سعادتك ! . . أتوسل اليك أن تكف . . إنى خائفة . . إن لعنة أبدية تتجمع لتنقض على رؤوسنا . . بحق السماء كف يا أوديب ؟ ! .

أوديب

لا تخافى ! . . لقد قلتِ لى يوماً إنك لا تحفلين بحقيقة مولدى ! . . فلأكن ولدت من صلب عبد من عبيدك

الأرقاء . . فهل هذا يخيفك . . أو يورثك من الخجل ما يذل نفسك أو يسحق كبرياءك . ؟ ! سأمضى فى بحثى عن حقيقتى . . . تلك رغبة أقوى منى . . ولا يستطيع أحد أن يحـــول بينى وبين رغبتى فى أن أعرف من أنا . . . ومن أكون ؟ ! .

الجـوقـة

امض فى طريقك أيها الملك العظيم . . . واكشف الستار عن مولدك ! . . فمهما يكن أصلك ومنبتك . فنحن بك فخورون ! . .

أوديب

لا أريد أن أعيش فى ضباب . . حتى ولو كان له الملك ثمناً . . لقد تركت كورنت وعرشها بحثاً عن الحقيقة . .

والآن وقد كدت أضع يدى على مفتاحها . . أحجم وأتراجع وأكف ؟ ! . لن يكون ذلك أبداً . . لن يكون ذلك أبداً . . .

الجوقة (تلتفت إلى الخلف)

ما لهذا الراعى خلف الصفوف ، يتسلل كمن يريد الهرب ؟ ! .

أوديب

أى راع ؟ ! . .

الجوقة

ذلك الذى كان فى حاشية لايوس . .

أوديب

أمسكوا به وأحضروه ! . . لابد أنه يعلم شيئاً . .

(يدفع بعض الناس الراعى إلى حيث يقف أوديب)

الجوقة

لماذا تهرب أيها الراعى ؟ . .

الراعى

لم أهرب . . ولكنى ما رأيت موجباً لبقائى ! . .

أوديب

ما انصرافك هكذا إلا لعلة . . سنعرفها الآن . . ربما كنت تعرف من نطلب . .

الراعى

لست أعرف أحـــداً . . ولا شيئاً . . .

أوديب

اقتربوا به أولاً من رسول كورنت .. وأنت أيها الرسول..
تفرس فى وجهه جيداً . . فربما أدى ذلك إلى أمر . . .

(يدفع بالراعى إلى جوار الشيخ)

الجوقة (تنظر إلى الرجلين)

شيخان هرمان . . لسكأنهما فى عمر واحد ! . .

الشيخ (صائحا بعد أن يحدق فى الراعى)

هو بعينه ! . . هو بعينه ! . .

أوديب

من ؟ . من ؟ . .

الشيخ

الراعى الذى سلمنى الطفـــل ! . .

أوديب

أسمعت أيها الراعى ؟

الراعى

لست أفهم شيئاً مما يقول هـــذا الشيخ ! . .

أوديب

أما سبق لك أن لقيت هذا الشيخ فى بقعة من البقاع ؟ ! . .

الراعى

لست أذكر . . .

أوديب

وكيف استطاع هو أن يذكر ؟ . .

الشيخ

دعنى يا أوديب أشحذ ذاكرته . . . ما إخاله ينسى تلك الأيام التى كنا نعمل فيها متجاورين فى منطقة سيتايرون . . كان هو يرعى قطيعين . . وكنت أنا أرعى قطيعاً واحداً . ولقد تعاقبت علينا ثلاثة فصول . . من الربيع إلى الخريف . . حتى إذا أقبل الشتاء ، سقت قطيعى عائداً إلى كورنت . . وساق هو قطيعيه راجعاً إلى طيبة . . أماكنا نفعل ذلك أيها الراعى ؟ ! .

الراعى

نعم . . هذا حقاً ماكنا نفعل . . ولكن مضت على ذلك سنون كثيرة . .

الشيخ

أجل . . مضت سنون كثيرة . . ولكن ذلك

لا يمنع من تذكر ذلك الطفل الرضيع ، الذى وضعته على بين ذراعى ذات يوم ، وتوسلت إلى أن أربيه ، كما لو كان ابنى . . .

الراعى (مرتجفاً)

ماذا تعنى ؟ . . وماذا تبغى منى أن أقول ؟ . .

الشيخ

أبغى منك إلا أن تنظر أمامك أيها الصديق القديم . . ها هو ذا طفلك الرضيع ! . .

(يشير له إلى أوديب)

جوكاستا (تلفظ بغير وعى همسة كالحشرجة)

كفى ! . . كفى ! . .

(تهم مندفعة نحو القصر . . ولكن أوديب يمنعها)

أوديب (صائحا)

أين تذهبين يا جوكاستا ؟ ! .

جوكاستا

أيها الأله .. رحماك ! ..

أوديب

مكانك لحظة .. لتسمعى بأذنيك حقيقة منبتى ! ..

جوكاستا

لا أستطيع البقـــاء لحظة أخرى .. لا استطيع .. لا استطيع ...

أوديب

لا تستطيعين أن تتحملى حمرة الخجل تصبغ وجهك ، وانت تسمعين أمام كل هذا الملأ ، من أى بطن وضيع خرج زوجك ! .. إنى ما أرغمتك قبل الآن

على شيء قط .. ولكنى أرغمك الآن ارغاماً على البقاء فى مكانك .. لتعرفى عنى ما سيعرف الساعة هذا الشعب المحتشد ! .. حتى وان كان فى ذلك إذلال لجلالك الملكى ، وجرح لعزة أسرتك العريقة ! ..

الجوقة

ابق معنا أيتها الملكة .. واسمعى ما نسمع .. ولن يضيرك شيء .. فإن أوديب فينا ملك ببطولته لا بأسرته !

أوديب

اصغى يا جوكاستا الى حكمة الشعب ورغبته ! ..

جوكاستا (تخفى وجهها بغلالتها)

رحمـــاك أيتها السماء ! ..

أوديب (للراعى)

والآن أيها الراعى .. صارحنا بجواب مستقيم .. ليس فيه التواء .. عن حقيقة ذلك الطفل الذى سلمته الى صاحبك هذا !..

الراعى

صاحبى هذا يا مولاى ، لا يدرى ما يقول .. إنه ولاريب مخطىء ...

أوديب

حذار أيها الراعى !.. إذا أبيت أن تجيب بالحسنى ، فإنا نعرف كيف نرغمك على الكلام !..

الراعى

ترفق يا مولاى برجل هرم مثلى !...

أوديب

اذا اردت الرفق بك فتكلم ! . .

الراعى

ماذا تريدون أن تعلموا اكثر مما علمتم ؟ . .

أوديب

ذلك الطفل الذى تحدث عنه صاحبك هذا ، أهو أنت الذى سلمته اليه ؟ ! . .

الراعى

أجـــل يا مولاى . . أنا . . وإنى لأتمنى لو كنت مت فى ذلك اليوم .

أوديب

إنى مذيقـــك الموت اليوم ، إذا امتنعت عن الأفضاء بالحقيقة ! .

الراعى

الويل لى ! . . إن فى هـذه الحقيقة موتاً لى وأى موت ! . .

أوديب

أما زلت تنوى أن تهرب وتروغ ؟ ! . .

الراعى

لم يبق الى ذلك سبيل . . . أو لم أعترف بأنى أعطيته الطفل ؟ . . ماذا يراد بعدئذ منى ؟ . .

أوديب

من أين جئت بذلك الطفل ؟ . . من بيتك أو من بيت آخـــر ؟ . .

الراعى

ليس من بيتى . . بل . . من بيت آخر .

أوديب

من أى بيت ؟

الراعى

ويلاه ! . ويلاه ! . استحلفك بالسماء يامولاى . . أن تكف عن سؤالى ! . .

أوديب

أجب . . أجب . . إذا أمسكت الآن عن الإجابة ، فانى منزل بك كل عذاب ، وملق بك فى شر ممات ! . تكلم ! . .

الراعى

كان ذلك الطفل من بيت . . لايوس .

أوديب

أكان أبن عبد من عبيده ؟ . . تكلم . . .

الراعى

ألا يمكن أن تعفينى من القول . . . مولاى . . رفقاً بى ! . .

أوديب

يجب أن تتكلم . . ويجب أن أسمع . . وإلا حطمت رأسك

الأبيض .. بلا رحمة .. وسحقت جسمك الواهن ! . .

الراعى

كان الطفل .. ابنه هو . .

أوديب

ابن من ؟ . .

الراعى

ابن . . لايوس ! .

أوديب

إبن الملك لايوس ؟ ! .

الراعى

نعم .

(يحدث هرج بين الشعب . . ويكاد أوديب ينهار
ولكنه يتماسك . . . . .)

أوديب

ما تقول فظيع أيها الرجل . . . فظيع ما تقول . . لا يكاد عقلى يصدق . . حذار أيها الرجل أن تكون فى قولك

كاذباً أو واهماً . . . لقد فهمت الآن العلة فى هروبك منى . . ما أنت فى واقع الأمر إلا منبع الخبر .. منك أنت ولاريب عرف كهان المعبد! فما من سريدفن فى الصدر سبعة عشر عاماً ، دون أن تنتشر له فى الهواء رائحة !. أنت إذن مصدر الوحى فى دلف!. حذار أن تكون مفترياً علىّ بالزور، أو موحياً بالأفك!.

الراعى

بل هى الحقيقة .. وفى مقدورك أن تسأل الملكة جوكاستا .. فقد كان كل شىء فى حضورها وبعلمها . . . لقد دفعوا إلى بالطفل لأهلكه .. ولكن قلبى لم يجرؤ على إهلاكه . فسلمته إلى هذا الرجل . . ليذهب إلى بلاده ، ويتخذه ولداً . . فأخذه وأنقذ بذلك حياته . . .

أوديب

أكان طفلاً حملته الملكة جوكاستا ؟

الراعى

أجل يامولاى . . وقد قيل يومئذ إن هلاكه ضرورى . . لنبوءة مشؤومة لحقت به . . هى أن هذا الأبن سوف

يقتـــل أباه . . .

أوديب (صائحا)

لايوس ! . . جوكاستا ! . . ياللسماء ! . . ياللسماء ! . انقشع الضباب من حولى . . فرأيت الحقيقة . . . ما أبشع وجه الحقيقة ! . يا لها من لعنة . . لم يسبق أن صب نظيرها على بشر ! . . ترسياس ! . ترسياس ! . . ولـكنك جامد كتمثال . . . لقد شعرت بطيف الـكارثة . . وانقبض لها صدرى . . قبل أن تنقض . . ولـكنى ما تصورتها قط بهذه الفظاعة ! . كذلك انقبضت لها أنت يا جوكاستا . . . جوكاستا ...

(جوكاستا وكأنها كانت طول الوقت ماثلة بغير رشد . . تسقط على الأرض فاقدة الصواب . . .)

الجـوقة (فى صياح)

أسرعوا إلى الملـكة ! . . الملـكة جوكاستا تنوء تحت وقر الـكارثة ! . . أنجدوها . . أسعفوها . . أدخلوها القصر ! .

(يجتمع الناس حول جسم الملكة . . يحملونها برفق ، يعاونهم أوديب وقد أذهلته الفجيعة . . ويدخلون بها القصر . . . تاركين ترسياس فى موضعه . . . .)

ترسياس

اذهب بى أيها الغلام بعيداً عن هذا المكان ! . . فقد راق للسماء أن تتخذه ملعباً ! . . نعم . . إن الألهة يلهو ويشىء فناً . . ويصنع قصة . . قصة على أساس فكرتى . . هى بالنسبة إلى أوديب وجوكاستا مأساة . . وبالنسبة إلىّ أنا ملهاة ! . . عليكما إذن ياصاحبا هـذا القصر أن تذرفا العبرات . . وعلىّ أنا أن أرسل الضحكات ! . . .

(يضحك كالمجنون . .)

الفصل الثالث

« المنظر الأول »

(فى القصر . . . جوكاستا فى حجرتها . .
ملقاة على فراشها . . ومن حولها
أوديب وأولادها جزعين . . .)

أوديب (هامساً)

ابتعدوا عنها قليلا يا أطفالى . . ولا تراعوا . . إنها نائمة . .

أنتجونه

أهدابها تتحرك يا أبتـــاه ! . .

أوديب

نعم . . إنها تتنبه . . إياكم أن تظهروا لها الجزع . . إنما
هو مرض عارض . . لا يلبث أن يزول . . .

(جوكاستا تتنهد وتفتح عينيها . .)

جوكاستا

أين أنا ؟.. أنتم هنا يا أولادى ؟.. هـــذا أنت يا..
أوديب!.. ويلى !.. ويلى !..

أوديب

تجلدى يا جـــوكاستا !..

جوكاستا

ألم أزل على قيد الحياة بعد !.. أما ابتلعتنى الأرض؟!
أما طوانى الفناء !؟.

أوديب (بصوت منخفض)

كفى عن هـذا الـكلام فى حضرة أولادنا !..

جوكاستا

أولادنا... أولادنا... يالبشاعة ما تقول !..

أنتجونه (مرتاعة)

أمـــاه !..

أوديب

اذهبي يا أنتيجونه مع اخوتك .. لا تزعجوا أمكم الآن ...

(يخرجهم برفق من المكان ...)

جوكاستا (كالمخاطبة لنفسها)

أولادنا .. ! أولادنا .. !

أوديب (يعود اليها)

جوكاستا ! .. أيتها العزيزة .. رفقاً بنفسك وبى ! ..

جوكاستا

أولادنا ! .. من أى بطن خرجوا .. كلهم .. وانت معهم يا .. أوديب ! .. بطن واحد .. حملهم وحملك ! .. ان تقول بعد اليوم إنهم أولادك ! .. بل هم أيضا اخوتك .. ولن تقول إنى زوجك بعد اليوم .. فأنا أيضا لك فى عين الوقت ... أنا أيضا لك .. ماذا ؟ .. ما ذا ؟ .. أقـــول ؟ ! .

أوديب

لا تقولى شيئاً يا جوكاستـــا .

جوكاستا

أعرفت الدنيا من قبل إثماً كهذا الإثم ! .. ألطخ وجه الأرض دنس مثل هذا الدنس ؟ ! . أنزلت على رأس بشر لعنة مثل هذه اللعنة ! .. ومع ذلك لم أزل حية .. حية أتنفس .. وأتكلم .. وأبصر أولادى .. أولادى جميعهم . . جميعهم ! . .

(تبكى وتمزق شعرها . .)

أوديب

رفقاً بنفسك وبى ! . .

جوكاستا

أوديب ! .. زوجى و . . ابنى ! . . لماذا فعلت بنا السماء

ذلك ؟! أى جرم استوجب علينا هذا العقاب !..
أتراها جريمتى يوم تركتك للهلاك صغيراً ؟! . ابنى
وزوجى ! . أهذا ممكن ؟! . أهذا يمكن أن يحتمله
كيان بشر . . دون ان يصاب بالجنون .. أو يصعق
من الفور ! .. لا بد أن أموت يا أوديب ! . . لا بد
أن أموت ! . .

أوديب

لن تموتى يا جوكاستا ! . . سأذود عنك كوحش
أصابه سعار . . سأقف فى وجه كل من ينال منك
شعرة . . سأصمد معك لصواعق السماء . . وضربات
القدر . . ولعنات البشر . . لن تموتى ! . . لن تموتى !..

جوكاستا

وما قيمة الحياة الآن . . يا أوديب ! . . ما قيمة حياتنا ! . .
أعداؤنا الآن ليسوا فى السماء ولا فى الأرض ! . . عدونا

داخل أنفسنا ... عدونا هـو تلك الحقيقة المدفونة ، التى حفرت أنت عليهـــا بيديك ، وكشفت عنها ولا سبيل الى الخلاص منها .. إلا بالقضاء على أنفسنا ! .. يجب أن أموت اذا أردت أن أخنق فى أعماق ذلك الصوت البشع للحقيقة البشعة ! ..

أوديب

لن تموتى ... سأقضى على كل عدو لك .. حتى وان كان داخـــل نفسك ! ..

جوكاستا

كلا يا أوديب ! .. لا تفعل ! .. إنك بذلك تمـد فى عذابى ولا تريحنى . . لقد قضى الأمر وحلت علينا اللعنة من الأله ومن الناس ! .. أينما سرنا .. تبعتنا الأنظـار كأنها حجارة ترجمنـــا ! ..

أوديب

تشجعى يا جوكاستا مثل ما أتشجع . . وتجلدى مثل ما أتجلد . . واحتملى كل شىء لمواجهة الواقع ! . .

جوكاستا

أى واقع نستطيع أن نواجهه بعد اليوم ؟ !

أوديب

كياننا الواحد . . أسرتنا المتحدة . . قلوبنا المتحابة . . نفوسنا التى تعمرها المودة وتدعمها الرحمة ! . . من فى مقدوره أن يهدم كل هذا البنيان ! . . وأى قوة فى إمكانها ان تدك هذا البرج المشيد من حب وعطف وحنان ! . .

جوكاستا

أوديب ! . يا . . . لست أدرى كيف أناديك ؟ ! .

أوديب

نا دينى بأى وصف شئت ! . . فأنت جوكاستا التى أحبها . . ولن يغير شىء ما بقلبى . . فلأكن زوجك أو ابنك . . فما تستطيع الأسماء ولا الصفات أن تبدل ما رسخ فى القلوب من العطف والود ! . . ولتكن انتجونه واخوتها أولاداً لى أو أشقاء . . . فما يستطيع وضع من هذه الأوضاع أن يغير فى نفسى ما أكنه لهم من الحنان والحب ! . . أعترف لك يا جوكاستا أنى تلقيت الضربة وكدت بها أنوء . . ولكنها ما استطاعت قط أن تجعلنى أبدل شعورى نحوك لحظة واحدة ! . . فأنت هى جوكاستا دائما . . . ومهما اسمع من انك لى أم أو أخت . . فلن يغير هذا من الواقع شيئاً . . وهو انك عندى دائماً : جوكاستا ! . .

جوكاستا

أوديب ! . . يامن أعزه أكثر من نفسى ! . . لا تحاول أن تخفف عنى وطأة المصيبة ! . . إن الواقع هو كما وصفت . . . ولكن الحقيقة يا أوديب ! . . ما ذا نفعل بصوت الحقيقة الصارخ ؟ !.

أوديب

الحقيقة ؟ ! . إنى ما خفت يوماً من وجهها . . ولا ارتعت من صوتها ! . .

جوكاستا (كالمخاطبة لنفسها)

لطالما حذرتك من ذلك ! . . واشفقت عليك منها . . . أنت الذى قضيت خير أيامك تجرى خلفها . . من بلد إلى بلد . . لتمسك بنقابها . . حتى التفتت اليك ، آخر الأمر . . وكشفت لك قليلاً عن وجهها المروع ، وصرخت بصوتها المدوى . . فهدمت صرح سعادتنا . . وصيرتنا إلى ما ترى . .

حطام من أسرة ، لا تعرف لها وضعاً بين الأسر . . ولا نعتاً بين البشر !..

أوديب

كان ينبغى لى يا جوكاستا أن أعرف الحقيقة ! . .

جوكاستا

لقـــد عرفتها . . . فهل استرحت ؟ ! . .

أوديب

حقاً . . ليتنى ما عرفتها . . وهل كنت أتخيل أنها بهذا الهول ! . . وهل كان يخطر لى أنها شىء قد يقضى على هنائى ؟ ! . الآن فقط أدركت . . . بعد أن انتقمت منى . . لأنى عبثت بنقابها ! . .

جوكاستا

انتقمت منا جميعاً يا أوديب ! . . انتقاماً لا قيام لنـا من بعـــده ! . .

أوديب

لا تقولى ذلك يا جوكاستا . . . فى وسعنا أن نقوم . . انهضى معى . . ولنضع أصابعنا فى آذاننا . . ولنعش فى الواقع . . فى الحياة التى تنبض بها قلوبنا الفياضة بالمحبة والرحمة . . .

جوكاستا

لا أستطيع يا أوديب ! . . لا أستطيع البقاء معك ! . . إن حبك لأسرتك قد أعماك . . إنك لا ترى الناس ، وما هم قائلون . . . لو استأنفنا هذه الحياة الشاذة بعد اليوم . . لم أعد أصلح للبقاء . . أيها العزيز . . ليس هنالك من مخرج إلا . . ذهابى ! . .

أوديب

لن تذهبى ! . . سأرغمك على الحياة . . سأحرسك الليل والنهار . . لن أسمح لشىء أن يحطم سعادتنا . . ويقوض

أسرتنا . . سأترك الملك والقصر . . ونرحل معاً بصغارنا عن هذه البلاد . . .

جوكاستا

نرحل معاً ! . . كلا . . . بل أرحل أنا وحـــدى . . .

أوديب

جوكاستا ! . . حذار أن تقدمى على أمر يلقى فى قلبي اليأس ! .. أنت تعرفين أنى لا أستطيع لك فراقاً . . . تجلدى وانهضى معى نواجه الحياة . . ثق أنه ما دامت لنا قلوب فنحن صالحون للبقاء . . .

جوكاستا

لم نعـــد نصلح للبقاء معاً ! . .

أوديب

ماهى تلك القوة التى تحول بينى وبينك ؟ !

جوكاستا

لا تستطيع أنت تحطيمها يا أوديب ! . . مهما تكن لك تلك البطولة التى قضت على أبى الهول ! . .

أوديب (كالمخاطب لنفسه)

ياله من مصير ! . . إنى بطل لأنى قتلت وحشاً . . زعموا أن له أجنحة ! . . وإنى مجرم لأنى قتلت رجلاً . . أثبتوا أنه أبى الذى جئت من صلبه ! . . وما أنا بالبطل ولا بالمجرم ! . ولكنى فرد من الأفراد . . ألقت عليه الناس أوهامها . . وألقت عليه السماء أقدارها . . فهل ينبغى لى أن أختنق تحت وقر هذه الأردية التى ألقيت علىّ ؟ ! . هذا قلبى ما زال ينبض . . إنى حى . . . إنى أريد أن أعيش . . أريد أن أعيش يا جوكاستا . . وأن تعيشى معى . . . ما هذه الهوة التى تفصلنا الآن ! . ما هذا العدو الخفى والخصم المستتر ، الذى يقوم بيننا كعملاق ! . .

الحقيقة ! . . ما هى قوة هذه الحقيقة ؟ ! . لو أنها كانت أسداً ضارياً ، حاد المخلب والناب ، لقتلته وألقيت به بعيداً عن طريقنا . . ولكنها شيء لا يوجد . . إلا فى أذهاننا . . إنها وهم . . إنها شبح . . إن ضربتى لا تنفذ فى أحشائها . . ويدى لا تنال من كيانها . . وحش مجنح حقاً . . رابض فى الهواء . . لا نصل اليه بسلاحنا . . ويقتـــل سعادتنا بألغازه . . جوكاستا ! . . أنت ترتعدين من طيف يا جوكاستا ! . . إن الواقع الذى نعيش الآن فيه يجب أن يبقى . . ويجب ألاَّ نسمح لشيء لانراه ، أن يهدمه . . . دعك من حقيقة ما سمعنا أيتها العزيزة . . اصغى إلى نبضات قلبك الساعة . . ماذا هى قائلة لك : أهى تقول لك إن شيئاً قد تغير ؟ . هل حبك لصغارك قد تغير ؟ . . هل حبك لأوديب قد تغير ؟ ! . . .

جوكاستا

لا .. ولن يتغير أبداً هذا الحب .. أبداً .. أبداً .. ولكن ...

أوديب

ما هذه الدموع فى عينيك ! .. قولى إنك تريدين الحياة من أجلنا !..

جوكاستا

أوديب ! ..

أوديب

لماذا تنظرين الىّ هكذا .. كما لو كنت طفلك ! ..

جوكاستا

أوديب ! ..

أوديب

ما ذا بك يا جوكاستا العزيزة ! ؟ إنك ترثين لى ..

تشبثى بهنائنا الضائع يملؤك بالأسى .. أقرأ فى وجهك ألماً وعذاباً .. تألمى قليلا .. بل أمعنى فى الألم .. فأن أعظم القوى تضافرت على هدم هذه الأسرة السعيدة ! .. كل القوى .. تفكير الأنسان المتمرد ، وتدبير الأله الساخر .. وتقاليد الناس ، وأوهام البشر .. كل شىء تحالف على شقائنا .. حتى عقلى الذى لبث الأعوام يبحث عن حتفى ... إلى أن أخرج لنا ذلك الشبح الذى استوى فى الفضاء ، يعصف بحياتنا الباسمة ويزلزل واقعنا الجميل .. ويمنعنا من التلاقى فى عش نسجناه من ريش تآلفنا الطويل ... جوكاستا ... فلنتألم من لطمة الكارثة التى نزلت بنا .. وانقبضت لها نفسانا معاً عند دنوها .. ألا تذكرين ؟ .. ولكن .. إياك ان نستسلم للنازلة .. كل شىء يمضى .. ما دمنا نذود عن بيتنا .. إن حرارة القلوب تذيب كل الذنوب .. حتى ذنوب العقل وأخطائه .. إنى مؤمن بطهر قلبى

وقلبك .. لأنا لم نرتكب إثما عامدين .. ولم نرد كل هذا الشر الذى تحملنا تبعته .. فليس لأحد علينا سبيل .. وليس لقوة ان تطلب الينا ثمناً باهظاً لجرائم لم نسع إلى ارتكابها .. واذا كان علينا ان ندفع ثمنا .. فليكن هذا المجد وهذا الملك وهذا الثراء ... أما أنت يا جوكاستا .. وأما أولادنا .. فكلا .. كلا .. كلا ..

جوكاستا (تهمس)

أولادنا .. أولادنا ...

أوديب

بم تهمسين ؟ ..

جوكاستا

لا شيء ...

أوديب

أرى فى عينيك أمراً .. انى خائف منك يا جوكاستا ! ..

جوكاستا

لا تخف .. هـــو قليل من التعب .. دعنى الآن ! . .

أوديب

أراك منهوكة القـــوى . .

جوكاستا

نـــعم .

أوديب

لو نمت قليلا . . . لو استغرقت فى نوم طويل أيتها العـــزيزة . . .

جوكاستا

هـــذا ما عولت عليه . .

أوديب

ولـكنى لن أدعك الآن حتى تعديني أن نرحل معاً عن هذه

البلاد . . إلى مكان بعيد . . .

جوكاستا (كالمخاطبة لنفسها)

إلى مكان بعيد . . نعم . . أعدك ! . .

أوديب

سأطلب ذلك من فورى إلى الشعب وإلى كريون . .
استريحى الآن . . . ولا تفكرى فى شىء . . .
حتى أعـــود . . .

جوكاستا

اذهب . . . يا .. أوديب ! . .

أوديب (ينظر اليها مليا)

لن أتركك بمفردك ! . . سأنادى الأولاد يمكثون
إلى جانبك ريثما أرجع . . . (ينادى) أنتجونه !
أنتجـــونه ! . .

(تظهر انتجونة بالعتبة)

أنتجونه

أبتـــاه ! . .

أوديب

ادخلى أنت وأخوتك . . واعنوا بأمكم . . وسروا عنها . . حتى أعـــود . . .

(يضع يده على أعناق أولاده . . وتتاملهم جوكاستا وهم مجتمعون على هذه الصورة . . ويقودهم أوديب إلى أمهم . . . . .)

أنتجونه

ما من أحد يستطيع التسرية عن أمى إلا أنت يا أبى ! . . حسبك أن تقص عليها قصة أبى الهول ! . . ان أمى كما تعلم تحب سماعها منك دائمـــاً ! . .

أوديب

الشعب فى انتظارى يا انتجونه ! . . تولى أنت عنى هـذا

الأمر . . إنك تجيدين سرد القصة . . أكثر منى . . .
أوصيك بالعناية بأمك . . ريثما أعود . . إياك أن
تتركيها فريسة للتفكير ! . .

(يخرج مشيعا بنظرات جوكاستا الواله . .)

جوكاستا (هامسة)

زوجـــى . . ولـــدى . . !

انتجونه

أماه ! . . يبدو عليك حقاً أنك تفكرين فى شىء
محزن ! . .

جوكاستا

لن يطول أمـــد ذلك يابنيتى ! . .

انتجونه

لماذا تنظرين إلىّ هكذا ؟ ! .

جوكاستا

إنك تحبين أباك كثيراً يا أنتجونه ! . . إنى واثقة انك ستكونين دائماً بجانبه . . إذا قدر لى يوماً أن أذهب إلى مكان بعيد . . .

انتجونه

أذاهبة أنت يا أماه إلى مكان بعيد ؟ ! .

جوكاستا

ربما . . يحدث ذلك يوماً . . .

أنتجونه

أى مكان بعيد تعنين ؟ . .

جوكاستا

مكان بعيد . . يعيش فيه القلب طليقاً كاليمامة الآمنة . . لا يطير فى سمائه ذلك الطائر ذو الأجنحة والمخالب . . الذى يفترس الحب . . .

أنتجونـه

لست أفهم ما تقولين يا أمـــاه !

جوكاستا

لا بأس.. لا تحاولى الفهم الآن ... كل ما أرجو منك أن تعنى بأبيك .. إذا رأيته يوماً وحيداً .. أوصيك به يا أنتجونه .. فهـو يستحق كل محبتنا .. وإذا رأيت يوما دموعه تنحدر من عينيه .. فبكفيك الصغيرتين الطـــاهرتين امسحى تلك الدمـــوع ...

أنتجونـه

لماذا تقولين لى هـــذا الـكلام يا أماه ! . .

جوكاستا

لأنى لا أريد لأبيك أن يتألم .. يجب أن يعيش قرير العين .. وأن يجد فيك عزاء يا بنيتى عن كل شىء ...

أنتجونـه

تبكين يا أماه !..

جوكاستا

أوصيك به يا أنتجونه !.. أوصيك به يا أنتجونه !..

(تضمها طويلا..)

المنظر الثانى

« فى الساحة امام القصر . . الجوقه محتشدة كما
كانت .. وقد وقف بين الجمع الكاهن وكريون...»

الجوقـة

من كان يتخيل ان الستار سيرتفع عن هذه الأشياء
المروعة ! . . ومن كان يتصور أن أوديب يجهل من
حقيقته ما كان يجهل ! .. هذا البطل الذى لج فى البحث ..
وحذق حل اللغز ، يعمى عن شأنه ، فلا يرى أى امرأة
فى فراشه ، ولا أى ولد أنجب ، ولا أى رجل قتل ؟! .
لكأن هـذا الإنسان الذى قبض على اكثر مما ينبغى
له من سر ، قد أفلت منـه أصغر ما يلتصق بشخص
الأنسان من أمر .. لقـد تطاول حتى هاجم أبا الهول
ينتزع سره .. وتضاءل حتى خفى عليه ما فى بيته وما فى

قدمه ! . . ما أتعس هذا الأنسان الذى جعل ينقب فى الأعماق ، فما انبثق له غير نبع شقائه ! . . ترى ماذا يفعل الآن ؟ ! وماذا جرى لجوكاستا ؟ . . هل أفاقت ؟ . . ترى ما عساهم يصنعون بعد اليوم ؟ ! هؤلاء الذين يحتويهم هذا القصر فى جوفه . . كما يحتوى الحيوان فى أحشائه القذر والنتن ! . . لسنا ندرى أنرثى لأوديب أم نغضب عليه ؟ ! . إنه مع ذلك ملكنا وبطلنا ، قبل أن يكون الآثم فى حق نفسه وذويه ! . .

الكاهن

حسبك أيها الشعب حديثاً فى أمر أوديب ! . دعكم الآن من شقائه . . واشغلوا أنفسكم بشقائكم أنتم ! . .

الجوقة

وهل نملك لأنفسنا حيلة ! . . سل أوديب . . فهو الذى يرى لنا دائماً ما ينبغى . .

الكاهن

انكم ما زلتم تضعون أوديب فى الموضع الذى جعلتموه فيه .. وتتخيلونه على الصفة التى عرفتموها عنه .. وليس فى مقدوركم أن تتحرروا سريعاً من سحر صورة ألفتموها .. ولا أن تجروا فيها تعديلاً مفاجئاً .. لأن ذلك يستلزم قدرة على سرعة الإدراك ... وما أجمد تفكيرك أيها الشعب ! .. وما أبطأ يدك فى وضع تمثال مكان تمثال ! .. ولكنى أنبهكم إلى أن أوديب الآن فى هم من أمره يكفيه ، وفى بلاء يضنيه ، وفى محنة تستغرقه ، وشغل يصرفه عن التفرغ لأمركم ...

الجوقة (ناظرة إلى باب القصر)

ها هو ذا أوديب قد ظهر ! ..

أوديب

إنه لشاق على نفسى أن أتعرض لأنظاركم .. بعد أن

غطانى الخزى ، ودثرنى العار ! . . ولـكنى جئت أتلقى حكم الشعب علىّ ! . . أيهـا الناس . . ارحمونى قليلاً ، إذا كان حكمكم الذى أصدرتموه الساعة فى غيبتى ، أقسى مما أحتمل . . .

الـكاهن

إنهم لم يصدروا عليك حكماً يا أوديب . . ولا تنتظر منهم أن يفعلوا . . ولـكن تذكر انك وعدت أن تصدر أنت حكمك على قاتل لايوس . . . فلا تخلف وعدك ! . .

أوديب

لن أخلف وعدى أيها الـكاهن . . . ماذا قدرت لـكما من عقاب ، يوم وجهت إليك والى كريون الاتهام ؟ . .

الـكاهن

الموت أو النفى . .

أوديب

أما الموت فأنى أجبن الآن عنه . . لأنى أحب أهلى ! . .
فلتكن الثانية أيها الكاهن ! . . دعونى أرحل بأسرتى
عن هذه البلاد . . إلى غير رجعة ! . .

كريون

إنك يا أوديب تسأل شططا . . ما أسرتك إلا أسرتى .
كيف ندعك تشرد هذه الأسرة فى غريب البلاد . .
وتذهب بها إلى غير عودة ؟ ! .

أوديب

أو تستطيع هذه الأرض أن تحملنا بعد اليوم ؟ ! .

كريون

ليس من حق أحد هنا يا أوديب أن يجيز لك هذا
الرحيل ... ولسنا نملك أن نقضى فيه بأمر ، قبل أن
نستلهم الآله .

أوديب

ما هذا الذى تقول ياكريون ؟ . ألست أنت الذى جاء من معبد دلف بالوحى ؟ . أليس هو الذى قال بتطهير هذه الأرض ممن لطخوها بالدنس ؟ ! .

كريون

إن ما طلبت يا أوديب لأخطر من أن أقره بغير إذن . . إن الوحى قد يغمض أحيانا علينا . . . لابد فى أمرك من بعض التريث . . ليس من اليسير أن تخرج أسرة لايوس من منبتها . . . إنها لتبعة . . لا يجوز فيها العجلة ولا التسرع ! . .

الجوقة (تلتفت)

هذا هو ترسياس قد أقبل . . ربما كان لديه رأى . . إن فى مقدوره أن يطالع الوحى ! . .

أوديب

ادن يا ترسياس ! . . وافصل فيما نحن فيه من خلاف ! . .
لقد عرفت ما وقع من أحداث . . وما هبط على رأسى
من نوازل . . وها أنذا أعرض ترك هذا الملك الغائص
فى الوحل والدم . . أريد الفرار بأسرتى من هذه الأرض . .
ولكن هـــؤلاء القوم يأبون إلا إطالة تعذيبى
وإذلالى . . .

ترسياس (يدفع عنه غلامه)

إليك عنى أيها الغلام ! . . أرى الآن طريق . .
لقـــد لطمنى الأله على عينى فأبصرت ! . .

أوديب

ترسياس ! . . اصـــغ إلىّ . . .

ترسياس

من هذا الذى يناديني ؟ . . بشر أم إله ؟ ! . .

أوديب

أنا أوديب . .

ترسياس

أوديب ؟ ! . من أوديب ؟ ! . .

أوديب

ألا تعرف الآن من أوديب ؟ . . دعنى أذكرك به . . .
إنه ذلك الذى جررت عليه أنت كل هذه النكبات . . .
أنت الأحمق الذى أراد أن يتدخل فيما لا قبل له به . . .
أنت الأعمى الذى ظن أنه يبصر للناس خيراً مما تبصر لهم
السماء ! . . أنت الذى أردت ، فكانت إرادتك وبالا
على الأبرياء .. لو أنك تركت الأمور تجرى ، كما قدر لها أن
تجرى طبقاً لنواميسها المرسومة .. لما كنت أنا اليوم مجرماً !..
أردت أن تتحدى السماء ، فأبعدت أوديب صغيراً عن الملك ،
ووضعت على العرش رجلا من صنعك .. فإذا بهذا

الرجل الذى وضعت ، هو عين أوديب الذى أبعدت .. لطالما زهوت بأرادتك الحرة ! .. نعم .. كانت لك حقا إرادة حرة .. شهدت آثارها .. ولكنها كانت تتحرك دائماً ، دون أن تعلم أو تشعر ، داخل إطار من إرادة السماء ! ..

الجوقة

لسنا نفهم شيئاً من هذا القول العجيب الذى يتفوه به أوديب ! ..

الكاهن

دعوا أوديب يتفوه بما يشاء . . فهو يود أن يبدو فى ثوب البرىء ، وأن يلقى الجرم على عاتق هذا الشيخ الضرير ! . وما كان هذا الشيخ إلا ناقلاً لوحى علوى . . وقد صدقت النبوءة ! . .

أوديب

نعم . . صدقت . . وهو مما يدعو إلى العجب ! . ومما يعجب

له هو نفسه فى دخيلته .. هذا الشيخ الناقل للوحى !.. وإنى إذ تفوهت الساعة بذلك القول لم أرد أن أبدو بريئاً . . فانا ما دافعت قط عن نفسى أمامكم . . إنما هو كلام يفهمه ترسياس .. ولاشأن لكم به ، ولو اطلعتَ أيها الشعب على ما أعنى لامتلأت عجباً ! . . أما أنت أيها الكاهن . . فمن يدرى ؟ . ربما كنت لكريون ، دون أن تشعر ، مثلما كان ترسياس لى . . . إن الإنسان هو الإنسان . . لابد له من أن يعمل ويريد ويسير بما تدفعه إليه ملكاته وخيلاؤه ، دون أن تتبين لبصيرته القاصرة ، إرادته من إرادة الأله ! . .

ترسياس

ما هذا اللغط حولى ؟ ! . أكاد لا أسمع شيئاً من حديث الناس . . . أذنى ممتلئة بضحكات آتية من أعلى ! . .

أوديب

نعم . . لقد أرادت السماء أن تجعل منك أضحوكة ! . .

أنت يا من ظننت أنك تناصبها حرباً .. وقمت تشرع من إرادتك سيفاً .. وتخيرت أنت هذا القصر بسكانه الوادعين ميداناً للنزال .. وضربت ضربتك .. ولكن الآله اكتفى بأن هزأ بك ولطمك على عينك العمياء ، لتبصر حمقك وغرورك ! .. أما القصر فقد اندك بأهله تحت ضربتك الحمقاء وسخرية السماء ! .. على أن من المروءة ياترسياس أن تفكر قليلا فى أمر الضحايا ... تكلم واقض بما ترى .. انى لا أسأل شيئاً غير الرحيل بأسرتى عن هذه الأرض .. حاملين خزينا .. لعلنا نوفق فى أرض أخرى إلى رمّ حالنا ..!

ترسياس

أيها الغلام ! .. ما هذا الذى يطن من أعماق الصمت .. طنين الحشرة من أعماق الطين ؟ ! .

أوديب

هو مخلوق قتل أباه ، وتزوج من أمه ، وأنجب أولاداً هم له أشقاء !.. الحشرة فى أعماق الطين تفعل ذلك لأنها عمياء .. ولقد فعلتُ ذلك لأن مصيرى ، منذ وجودى ، أراد أن يقوده أعمى !.. أيها المجرم الحقيقى .. لو كان دمك طاهراً لسفكته وغسلت به جراحى !.. ولكن كتب لك أن تعيش مبجلاً تخدع الناس ، وأن أدفع أنا ثمن أخطائك ، وأرتدى خزى أوزارك . . .

الكاهن

رفقاً بالشيخ يا أوديب !.. رفقاً بالشيخ !..

الجوقة

تحمل قدرك وحدك يا أوديب ، كما يليق ببطل أن يتحمله !..

أوديب

أصبتم أيها الناس ! . . إنه لمن الخطل أن نناقش فيما ألقى على كواهلنا من أقدار . . ربما كان بعضها من صنع أيدينا .. أسامع أنت يا ترسياس ؟.. عينك المغلقة لم تستطع أن تبصر يد الإله فى هذا الكون ! . . هذا النظام المقرر للأشياء .. الدقيق كالصراط ، كل من خرج عليه وجد حفراً يقع فيها .. صراط ، لك أن تسير فيه بأرادتك أو تقف ، ولكن ليس لك أن تتحدى أو تنحرف . وقد فعلت يا ترسياس فوقعت .. ولكنك جرفتنا معك . . غير أن السقطة لم تصبك إلاّ فى كبريائك .. لقد ردك الأله بها إلى موضعك .. أما نحن فقد أصابتنا فى قلوبنا .. وما من أحد يبذل لنا الساعة عوناً . . حتى أنت ، تلزم الصمت ، ولا تنطق إلا بالهراء والخلط ! لم يبق لنا من أمل إلا قلوب الناس، نسألها بعض الرحمة بنا.. والآن أغرب عنى أيها الشيخ ! . . ما عدت تصلح بعد اليوم لشىء فيما أرى .. اذهب به بعيداً أيها الغلام . . .

ترسياس (للغلام)

اذهب بى الى الأله ، لأسأله . متى أعدّ سخريته ودبرها ؟. قبل خلقنا ؟ أو بعد تفكيرنا ؟ . اصعد بى الى السماء أيها الغلام ، وأدخلنى على الأله . . لأعلم هل هو يضحك الساعة حقاً منى ؟. أو هو لا يعرفى ولا يحفل بأمرى . . إنما هو قد ضحك سلفاً منذ مبدأ الخليقة . . منذ خلق هذه المزاحة . . وأطلقها فى الزمان . . تصيب من يتعرض لها . . وتلبس من يتحداها . . وتلحق من يقف فى طريقها ! . . اصعد بى الى السماء أيها الغلام ، لأعلم ... فأذا وجدت الأله يضحك منى ، فسأضحك أنا أيضا فى حضرته . . هكذا .. هكذا ..

(يدفع الغلام أمامه وهو يضحك إلى أن يخرجا . . .)

الجوقة (وهى تشيع ترسياس بانظارها)

ما ذا جرى اليوم لترسياس الجليل ؟ ! . لكأن الأحداث قد أذهلته عنا ، وأخرجته عن طوره ! . .

الكاهن

دعوه يذهب . . . ما أراه اليوم على خير حال ! . .

(صيحة تدوى فى داخل القصر . . فيلتفت الجميع الى بابه . . وعندئذ تظهر أنتجونه صائحة . .)

أنتجونه

أبتاه !. . أبتاه ! . .

أوديب

ماذا حدث ؟ . . ما ذا حدث ؟ . .

أنتجونه

أمى . . . أسرع إلى أمى ! . .

(يقفز أوديب الى الدرج قفزاً . . ويدخل القصر ملهوفاً فزعاً . . . وخلفه ابنته . . والجميع ينظرون اليهما جامدين من الروع كالتماثيل . . .)

كريون (يفيق ويتحرك)

ماذا حدث لأختى ؟ !

(يهم بدخول القصر . . .)

الكاهن (يمسك به ويبقيه)

إبق يا كريون !.. مكانك الآن بين هذا الشعب .. الذى انصرف عنه رعاته . . وشغل عنه حماته . . إنا نقدر ما يمضك من ألم ، وما يخالجك من شعور . . فما أنت إلا غصن من هذه الشجرة المالكة ، وعضو فى هذه الأسرة المنكوبة . . يهزك ما يهزها من أنواء وأرزاء . . وإن إخلاصك لأوديب ولأختك ليدفعنا أن نطلب اليك أن تضع فى يدك دفة هذه السفينة ، قبل أن تغرق بنا جميعاً .. فقم فى هذا الشعب القلق الحائر ، وثبت مركبه فى شاطىء أمين . . .

كريون

ومن يمنحنى هذه السلطة ؟

الكاهن

الظروف المحيطة . . والحوادث الطاغية ، تمنحك من حق

القيام على مصلحة الشعب ، ما تمنحه الأمواج الجارفة للملاح الحازم ، عند دوار الربابنة ، من حق النهوض بالعبء واقرار الطمأنينة والثبات والإيمان . . .

كريون

أما رأيت كيف اتهمت بالطمع فى العرش ؟

الكاهن

لقد سقط عنك ذلك الأتهام . . لأن الحق كان فى جانبك. لا تصغ أبداً إلا الى صوت واجبك ! . .

كريون (يصيح باذنه)

صه ! . .

(تنطلق صيحات من داخل القصر)

الجوقة

ما هذه الأصوات المفزعة الصاعدة من جوف هذا القصر ؟ ! . .

الكاهن (يلتفت نحو القصر)

ماذا وقع ؟ ! . ان الأمور فيما أرى تزداد سوءاً ! . .

كريون (يهم بالذهاب)

دعنى اذهب لأرى ما حدث ! . .

الكاهن (يبقيه)

مهلاً ! . . هذا خادم يخرج إلينا من القصر ! . .

الجوقة

انظروا إلى هذا الخارج من القصر ، وفى عينيه آيات الهلع ! . .

الخادم

يا أهل طيبة ! . . لقد ماتت الملكة جوكاستا ! . .

الجوقة

ماتت ! ؟ .

كريون

أختاه ! . .

(يهرع إلى داخل القصر)

الخـادم

ميتة ارتعدت من هولها الفرائص . . واليكم ما حدث . . .
إذا كان يعنيكم أن تعلموا . . .

الجوقـة

تـكلم . . تكلم . . قص علينا كل ما حدث ! . .

الخـادم

لم نرشيئا فى أول الأمر . . ولـكنا سمعنا انتجونه تصيح قائلة :
« أين أبى ؟ أين أبى ؟ . » فلما سألناها عما بها قالت إن أمها
نهضت من فراشها ، وقبلتها وقبلت اخوتها . . وزعمت
لهم أن التعب قد نال منها ، وأنها تريد نوماً طويلا . .
وجذبتهم إلى خارج حجرتها . . ثم دخلتها وأوصدت
الباب عليها من الداخل ، وقد شعت عيناها ببريق يثير الخوف
ويبعث على القلق . . . بعدئذ لم يسمع الصغار من خصاص

الباب ، إلا صيحات مكتومة وزفرات مخنوقة . . ثم سكون مطبق رهيب . . وانطلقت انتجونه خارجة اليكم كما رأيتم ، تخبر أباها . . فبادر أوديب فى أثرها إلى الحجرة الموصدة يطرقها كالمجنون ، ولا من مجيب . . فجأر كالوحش المخوف ، وحمل على الباب بكتفيه حتى أسقطه . . . وهنا رأينا مشهداً جمدت له فى عروقنا الدماء ! . . الملكة جوكاستا معلقة من عنقها بحبل ، تتدلى فى الهواء . . وكل شىء من حولها ساكن سكون القبر . . فما كاد أوديب يراها على هذه الحال ، حتى اندفع إلى الحبل فجذبه . . وإذا جثة الملكة تهوى باردة على الأرض . . عند ذاك أبصرت عيوننا أبشع منظر وقعت عليه عين بشر . . فقد جن جنون أوديب ، وانحنى على جثمان جوكاستا يمرغ خديه على خديها ، ويمسح رأسه بقدميها . . ويصيح : « إلىّ بسيف . . سيف !.. إنى ما تحملت هذه الحياة الشقية إلا من أجلك !.. يا زوجى وأمى ! . . » فلما جمدنا فى مكاننا وذهلنا عن

ندائه .. زأر كالأسد الجريح .. وصاح : « يبطئون علىّ بأداة المـــوت أيضاً ! . . لا حاجة بى إلى السيف . . هاكم ماهو أفظع من الموت وأشد وأوجع ! . . » وامتدت يده كمخلب الباشق ، إلى صدر الثوب الملوكى ، الذى ترتديه جوكاستا ، فانتزع منه مشابكه الذهبية ، وطعن بهـا عينيه طعنـاً عنيفـاً متصلاً . . وهو يقول : « لن أبكيك إلا بدموع من دم ! . . » ومضى يخرق بالمشابك أجفانه ويمزق أهدابه . . والدماء تسيل من عينيه مدراراً . . صابغة بلونها القاتم ، صفحة خده . . كأنها أسطر سوداء لحكم قدر صارم ! . .

الجـوقـة (ومن بينها أصوات نساء)

كفى ! . . كفى ! . .

الـكاهن

وأين هو الآن هذا الملك التعس ؟

الخـادم

يتخبط فى أرجاء القصر ، ويتلوى من آلامه ! . .

الـكاهن

أما من أحـــد يخف إلى إسعـافه ؟ ! .

الخـادم

وماذا يجدى فى علاجه الآن ؟ . . انظروا . . ارى ذراعيه تضربان الفضاء ، متلمسة طريق الخروج من القصر ! . .

(أوديب يظهر مكفوف البصر والدم
فى وجهه وعلى ثيابه . . . . .)

الجوقـة (فى صيحة فزع)

ويـــلاه ! . .

أوديب (يتقدم متعثراً)

أين سـاقتنى قدماى ؟ ! . .

الجوقة

لماذا أحدثت بنفسك يا أوديب هذا الأمر ، الذى يؤذى منظره النفوس ! ..

أوديب

هذا أنت أيها الشعب الكريم ! .. التمس العفو منك والمعذرة لى ... ما كنت أود أن أوذى أبصارك بمنظر كريه ! . ولكنى أتلمس طريق الذى لم يبق لى سواه ..

الجوقة

ما هو هذا الطريق يا أوديب ؟

أوديب

طريق الموت . . هناك خارج أسوار طيبة .. سأهيم على وجهى فى البرية .. حتى أصادف وحشاً يفترسنى ، ويحط طير يطعم من بقايا أشلائى ! ..

الكاهن

لن ندعك تذهب الى حتفك ! .

أوديب

رحمة بى ! . . لا تسدوا فى وجهى السبل بعد الآن . . لقد أبيتم علينا النفى ، حتى فات أوانه . . فلم يبق لى إلا ملاقاة الحتـــف . . .

الـكاهن

لن تخطو إليه بقدميك ! . .

أوديب

من يمنعـنى ؟

الـكاهن

الأله . . إذا رآى أجلك لم يحن بعد ! . .

أوديب

وما حظ الأله من الأمعان فى تعذيبى ؟ ! . أما استوفى حقه من عقابى بعـد ؟ ! . .

الـكاهن

ربما يريد بك خيراً .

أوديب

أى خير يمكن أن يحل بى بعد اليوم ؟ . . وقد انطفأ من حولى النور ! . . كل نور قد انطفأ . . فى عينى وفى قلبى . . لقد دثر حياتى ظلام أبدى . . كأنه رداء حداد لن يخلع عنى أبداً . . .

الكاهن

لو أنك أردت أن تدنو من الأله ، فأشعلت له فى نفسك مسرجة ، لأضاءت لك فى أحلك لياليك . . ولكنك آثرت أن توقد فى عقلك مصابيح . . انطفأت كلها عند عصفة من عصف الريح ! . .

أوديب

لا تلمنى أيها الكاهن . . ولا تنتقم منى ! . . لقد أضأت حقاً تلك المصابيح لأبحث عن الحقيقة ! . . . ولقد حذرنى يوماً ترسياس من أن تلمس أصابعى وجهها . . وتدنو من عينيها ! . إنها لا تحب من يحدق إليها أكثر مما ينبغى ! . . نعم . . لقد

دنت هذه الأصابع منها أكثر مما ينبغى .. حتى اقتلعت عينى أنا ! . . لقد انتقمت هى .. تخفف عنى انت أيها الكاهن !.. إنى فى حاجة إلى رثائك ورحمتك ! . .

الكاهن

وما تنفعك رحمتى ؟ ! . وقد نزلت بك كل هذه الخطوب ؟ ! ولكنى أستنزل عليك رحمة السماء ! . .

الجوقة

هذا كريون يخرج من القصر شاحب الجبين ! . .

أوديب

كريون قادم ؟ . . سلوء العون لى ، والتخفيف من آلامى ؟ !.

كريون (وقد ظهر)

لماذا فعلت بنفسك هذا يا أوديب ؟ ! . وما الذى ترجوه منى تخفيفاً لآلامك ؟ ! .

أوديب

دعونى أذهب بعيداً عن طيبة ! . . اطردونى من أرضكم كما تطرد اللعنه ! . .

كريون

لا تسألنى ذلك يا أوديب !..

أوديب

لن أطلب اليك ، يا كريون ، الرحيل بأهلى .. كما طلبت أول مرة .. فالظروف قـــد تغيرت الآن كما تعلم .. سأذهب بمفردى .. تاركاً لك أولادى .. ترعاهم بعنايتك .. فأنت لهم خير أب .. وأوصيك بالبنتين خيراً يا كريون.. وأنتجونه على الأخص .. لقد كانت شديدة اللصوق بى .. فحاجتها إلى حنانك أشد وأكثر .. ها أنت ذا ترى ان الأمر هين عليك إقراره ... فقد عهدت اليك بأسرتى وأسرتك .. أى ماتبقى منها .. أما أنا فما فى بقائى من نفع .. لم أعد أصلح للبقاء .. لقد صدقت جوكاستا العزيزة .. حملتها عبئاً على الحياة .. وقد قاومت كما قاومت .. ولكن شيئاً أعظم بأساً وأقوى بطشاً قد انتصر ... وبذهاب جوكاستا أدركت قوة ذلك الشىء الذى أرغمها على الموت .. وفهمت ان حياتى أمست هى الأخرى عدماً من العدم .. فكففتها من الفور فى الظلام !..

كريون

ألك من مطلب آخر يا أوديب ؟ . .

أوديب

نعم . . لا تنس أن تجرى الطقوس الجنائزية اللائقة بدفن تلك المسجاة فى حجرتها ! . . إنها أختك . وإنى مطمئن إلى حسن قيامك بواجبك .. ليس لى بعد ذلك من مطلب ، إلا أن أوصيك مرة أخرى بأطفالى . . وإنى لأطمع فى نبلك ياكريون . . وأسألك أن تبعث فى طلبهم الساعة ، لألمسهم بيدى . . .

كريون (يشير إلى الخادم قرب باب القصر)

كنت قد رأيت إقصاءهم عن هذه المشاهد المؤلمة ! . .

أوديب

مرة ربما كانت هى الأخيرة .. لو أذنت أيها الرحيم كريون .. ألمس وجوههم البريئة بأصابعى . . وأتخيل ملامحهم . .

وأتأمل فى رأسى صورهم . . . ماذا أسمع ؟ . . ذلك وقع أقدامهم الصغيرة . . وذلك نشيج أعرفه من أنتجونه . . إنهم آتون . . أتراك رحمتنى ياكريون ، وأرسلت فى إحضارهم ؟ ! .

(انتجونه خارجة من القصر تقود اخوتها)

كريون

لقد أمرت بأحضارهم لك يا أوديب . . فأنا أعلم مقدار حبك لهم . . . ها هم أولاء على مقربة منك ! . .

أوديب (يمد يده فى الهواء)

شكراً لك ياكريون ! . . أين أنتم يا أولادى ؟ ! . لست أراكم . . ولن تبصركم عيناى بعد اليوم . . .

أنتجونه (وهى تكفكف دمعها)

هون عليك يا أبتاه ! . . ما دامت لى أنا عينان ، فهما لك . . . لن تكون وحيداً . . سأكون إلى جانبك حيث تكون . . .

أوديب

أنتجونه بنيتى ! . . لا يرضى قلبي أن أجرك معى فى طريق الشقاء ! . . مكانك هنا إلى جانب خالك واخوتك ! .

انتجونه

لا مكان لى إلا بالقرب منك يا أبتى ! . . أبصر لك . . . ألا تذكر أنى تقت يوما أن أرى الأشياء بعينك . . أراها كما تراها أنت . . سأحاول أن أبصر الأشياء كما تبصرها . . لن أشعرك يوماً أنك فقدت ناظريك ! . .

أوديب

بل أنا الذى كنت أتوق أن أرى الوجود صافياً طاهراً من خلال عينيك ! . . ولكنى لم أعد أستحق ذلك . . ابقى يا بنيتى بعيداً عنى . . إن شبابك النضر هو ملكك لا ملكى . . لن آخذه منك . . فأرتكب جناية أخرى . . . عيشوا حياتكم يا أولادى . . وانفضوا أيديكم منى . . فما أنا

لكم إلا وصمة . . وما أنا عليكم إلا عبء . . يكفيكم منى ما سوف يلقيه على غدكم ظلى المشئوم . . ستكونون أمثولة الدهر ، ومضغة الأفواه ، وألعوبة الألسنة . . وما دام الناس فى حاجة إلى أوهام تغذى خواء أيامهم ، فستكونون أنتم أسطورة الناس ! . . لا أمل لكم إلا فى شخص واحد : كريون خالكم . . اجعلوه لكم أباً . . ستجدون فى كنفه العطف والحنان . . وقد عاهدنى على العناية بكم . . وها أنذا أمد له يدى تأكيداً للعهد . . . أين يدك أيها الصديق ؟ . .

كريون (يتناول يد أوديب ويشد عليها)

؟

أوديب

اتخذوا لكم ياصغارى من كريون مثلاً وقدوة . . هذا الرجل السوى الخلق النقى السريرة المؤمن النفس . . وإياكم . . إياكم أن تتخذوا من أبيكم مثلاً . . بل اجعلوا لكم من مصيره موعظـــة ! . .

انتجونه (تتساقط عبراتها على يد
أوديب بلا شهيق ولا صوت . .)

؟

أوديب

ما هذه الدموع على يدى ؟ ! دموع من هذه ؟ . .

انتجونه (منفجرة)

لا تقل ذلك يا أبتاه ! . . لن أتخذ غيرك مثلاً أبداً . . أبداً . .
إنك بطل طيبه ! . .

أوديب

هذه أنت يا أنتجونه العزيزة ! . . ما زلت تؤمنين بانى
بطل ؟ ! . . (يبكى) . . لا . . لم أعد كذلك اليوم يابنيتى ! . .
بل إنى ما كنت يوماً بطلاً قط ! . .

(أنتجونه تمسح دموع أوديب بكفيها . . .)

انتجونه

أبتاه ! . . إنك لم تكن قط بطلاً مثلما أنت اليوم ! . .

مقدمة *

الترجمة الفرنسية

محاكاة سوفوكليس ، وإخراج أوديب الملك من جديد — إخراجه بالعربية — ومعالجة الموضوع القديم بل الخالد ، دون ذهاب إلى وجوب التزام التقليد الحرفى أو الترجمة الأمينة أو مجرد الاقتباس البسيط — هو ذاك المطلب الجرىء الذى قصد إليه توفيق الحكيم.

جرىء لأننا إذا لم نتناول بالذكر غير مؤلفى المسرح الفرنسيين — مع أننا نستطيع أن نجد بين الألمان والانجليز والإيطاليين أقراناً لتوفيق الحكيم — ألفينا المؤلف المصرى يتصدى لمطلب سبق أن حاوله من عام ١٦١٤ إلى عام ١٩٣٩ بحسب التاريخ المسيحى ، تسعة وعشرون مؤلفاً ، نلاقى من بينهم كورنيل وڤولتير وم . ج . شنيه وكوكتو وجيد . وثمة لا يطاول توفيق الحكيم سوفوكليس وحده ،

* وجدنا من النافع أن ننشر هنا مقدمة الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب . وهى للمسيو ألويس دى مارينياك ، المتخصص السويسرى فى آداب اللغة اليونانية وفى تراجيديا « أوديب » بالذات ، ومؤلف البحث المستفيض عن الشعراء والناثرين الذين تناولوا ماساة « أوديب » على مر القرون . وقد تفضل بنقل هذه المقدمة إلى العربية الأستاذ عبد الرحمن صدقى . . لعل القارىء العربى يجد فيها وفى التعقيب عليها إيضاحاً لبعض مرامى الماساة فى وضعها هذا .

وإنما يطاول أعلاماً من المؤلفين المسرحيين ، نشأوا فى بلاد للفن المسرحى فيها السيادة والرياسة . وسوفوكليس يُخشى منه على من يسلك سبيله ويقفو أثره . وحسبنا أن نذكر ماجرى ليوريبيدس ، حين جاء، بعد مأساة «كويفورس» لسلفه «آشيلوس» ومأساة «الكترا» لسوفوكليس ، يخرج على المسرح تاريخ انتقام اورستر وأختها من أمهما كليتمنستر ومن أجيست غاصب عرش أجاممنون ، فلقد جاءت مأساة يوريبيدس بعد مأساة سوفوكليس كما تجىء الهزيمة .

ومن ينعم النظر فى المعارضات الفرنسية التسع والعشرين لأوديب الملك لسوفوكليس يتضح له جليا أنه إذا كان قد أمكن معارضة أبلغ المؤلفين الأثينيين فى مأساته فإن أحداً لم يبلغ إلى التفوق عليه قط ، ولا إلى مساواته فحسب .

ثم إن هذا لا يرجع إلى تفوق المسرح القديم على المسرح الحديث عامة . فإن مأساة «فيدر» لراسين أجمل من بعض النواحى وأصدق فى التحليل النفسى وأوثق فى البناء من مأساة «هيبوليت» ليوريبيديس وهى مع ذلك — دون مراء — تقليد لها أمين إلى حد كبير . فالأمر راجع إلى موضوع أوديب نفسه وهو موضوع موافق تمام الموافقة للوسائل المسرحية التى يملكها المسرح اليونانى لتأدية مايجب تأديته ، كما أنه موافق تمام الموافقة لروح هذا المسرح

الذى تخلع عليه أصوله المتصلة بأعياد إله الخمر طابعاً دينياً فلسفياً فى جوهره وصميمه . وما من شك فى أن أسطورة أوديب تثير موضوع القدر ، القدر القاسى المحتوم الذى لا اختيار فيه ولا مردّ له يجثم بكل وطأة ثقله على امرىء من قبل ميلاده ، قاضياً عليه أن يقتل أباه وينزوج أمه . ويجهد المرء جهد ما يستطيع للخلاص من هذا القدر المحتوم فلا يستطيع إلا ارتكاب هذين المنكرين الفظيعين اللذين كتب له ارتكابهما .

أما فى العالم المسيحى ، وعلى الأخص فى العالم الكاثوليكى ، فإن فكرة قضاءٍ محتوم أعمى ، قضاء تدبره الآلهة فى خبث ومكر وإرادة للأذى والشر ، فكرة لا يمكن ورودها على البال بحال من الأحوال . ولقد كتب الأب الجزويتى فولار من أبناء القرن الثامن عشر رواية عن أوديب فلم يفته التعارض بين الفكرة المسيحية الغربية وبين الفكرة اليونانية ، فحاول أن يفرق بين قضاء الله وبين تصرفات الملك قاتل أبيه ومضاجع أمه ، وأن يلقى تبعة الذنب كله على أوديب وحده . أما الوحى الذى ألقت به الآلهة إليه ، فلم يكن أمراً مقضياً من القدر ، وإنما هو نذير وتحذير شاء الله فى لطفه أن يلقى به إلى الإنسان تنبيهاً له إلى الأخطار التى هو وارد عليها إذا اتبع شهواته ومضى فى غلوائه . وعلى الضد من ذلك كوكتو فى « الآلة الجهنمية »

فهو يشهدنا فى طريقة عريقة فى اليونانية على مطاردة الآلهة لبرىء من الأبرياء وإنزال القصاص به عفواً من غير اقتضاء ، على حين يحاول « جيد » أن يظهرنا من وراء نفاذ أمر القضاء على أن الإنسان ما برح مختاراً لأحواله حر التصرف فى أفعاله .

ومعلوم للكافة — ولاحاجة بنا إلى معاودة ذكر الأسباب — أن هذه المعارضات الفرنسية الثلاث لسوفوكليس دون مستوى النموذج اليونانى ، على الرغم من أن هؤلاء الثلاثة المؤلفين دون مواطنيهم أجمعين قد أدركوا أن موضوع أوديب يقوم فى صميمه وجوهره على هذه المشكلة الفلسفية ويكاد يكون منحصراً فيها .

ويطالعنا اليوم توفيق الحكيم ، وهو — من حيث هو مسلم ينتمى إلى عالم لا يرفض فكرة القدر على أنها سخيفة باطلة ، ولا يدين بما يدين به الغرب فى تصوره للعلاقة بين الرب والعبد — يبدع على الخصوص فى موضع أوفق وأدعى للنجاح فى مجال كان الإخفاق فيه نصيب عامة المؤلفين المسيحيين من مقلدى سوفوكليس .

والتوفيق الحكيم — كما يعرف الذين قرءوا له « مشكلة الحكم » طريقة خاصة به فى تصوره لمحاكاة القديم . فهو لا يعرض للنموذج فى ظاهر مبناه بتعديل أو تبديل إلا بالقدر الذى يقتضيه المعنى الجديد المراد صبّه فى هذا القالب ، ولكنه يتوفر على تحويل

المسائل القديمة إلى أغراض حديثة عصرية ، وأن يجعلها أقرب إلى الإنسانية ويردها إلى نطاق أكثر عموماً . ومن ثمة كانت بينه وبين « أنوى » آصرة وقربى . ولكنه يختلف عن « أنوى » فى أن مؤلف « انتيجون » الحديثة يجعل من هذا التجديد عملية قائمة على قواعد مقررة ونهج مرسوم ، فلا يكاد يمضى فيها حتى يضيق بها المتفرج . أما توفيق الحكيم فهو فى أرابته وسخريته ويقظة رشده يخلع عن الأبطال الأقدمين تلك العظمة التى أضفتها عليهم الأساطير ليعيرهم عظمة غيرها — عظمة تصدر عن فضيلتهم البشرية دون سواها . فلم يلق « أوديب » توفيق الحكيم ذلك الأسفنكس الذى تتحدث عنه الأسطورة ، وما من وحش مفترس ألقى عليه لغزاً لم يسلم إلا بحله . بل قنع المسافر البطل بأن صرع أسداً كان يجول فى سفح جبل ستيرون ويفتك بأهل البلاد ، شأنه شأن الوحش الأسطورى الذى كان يفتك بالغنم فى إقليم ڤاليه الموحش فى سويسرا ، واتضح عام ١٩٤٦ أنه لم يكن إلا ذئباً من الذئاب الضارية فى تلك الناحية .

أما الذى لفّق قصة الاسفنكس الخيالية فإنما هو تيرسياس العرّاف ، ذلك السياسى البارع والخبير العارف بالناس الذى فطن إلى ما يمكن أن تستخرجه الدعاية من هذا الحادث الصغير . فقد كان عليماً بمبلغ ميل العوام إلى كل ما فيه إيهام وتهويل . فعمد — وقد اجتمع فى شخصه ميكيافلى وجوبلز — إلى الفتى الساذج

صارع الوحوش فأجلسه على عرش ثيبا ، فكان كل ذنبه أن قبل الدور الذى أراده العرّاف على لعبه . وهكذا بات أوديب رهناً أسيراً لأكذوبة سياسية لا معدى له عن العمل على تقريرها فى أذهان الناس وفى أذهان ذويه ، جوكاست وأولاده الذين كانوا لا يملون من سماع هذه القصة البديعة التى يقوم عليها مايباشره الملك من سلطان على ثيبا .

وهذا تصرف بارع وفيه مصلحة وخدمة تامة للغرض العميق الذى يتوخاه المؤلف . فلقد نزل أوديب من قاعدته المنصوبة فى الأساطير ، وتورط فى أكذوبة ثقيلة الوطأة عليه ، وبالجملة أصبح إنساناً مثل سائر الناس . ولن يصبح عظيما إلا بمسلكه ونوع موقفه أمام الكارثة . ولا يتساءل توفيق الحكيم عن « الموجب » لهذه الكارثة ؟ ويقنع بأن أوديب الذى جعل منه إنساناً قد قتل أباه وتزوج بأمه . وعندما يمتثل أوديب للمقتضيات السياسية التى تضطره إلى البحث عن قاتل لايبس ، فإنه يؤدى على النحو الواجب صنعته كملك ، ويدير التحقيق بالذكاء والعناد العاتى الذى جعلها سوفوكليس من نصيبه ، فإذا هو يواجه شيئاً فشيئاً فظاعة الكارثة . وهنا يتجلى مسلكه رائعاً عظيما إذ ينزل بنفسه أفظع العقاب فيسترد فى المجال الخلقى تلك العظمة التى نزعها عنه توفيق الحكيم فى المجال الاسطورى . ثم

إن الشخصيات الأخرى — جوكاست وانتيجون وأولاد أوديب الآخرون — هم فى مسرحية توفيق الحكيم أعلى سنا منهم فى مأساة سوفوكليس ومن ثمة كان اشتراكهم فى القصة العصرية أكثر حركة ، وقد تناولهم توفيق الحكيم مثل تناوله لأوديب ، فهم أيضاً مخدوعون بأكذوبة تيرسياس يخلعون على الملك عظمة مكذوبة ، عظمة الأسطورة ، ولا يتبينون عظمته الحقيقية ، وهى عظمة محض إنسانية ، إلا حين يواجهون رزءه ، حين يواجهون نوع إدراكه لما يجب أن تكون عليه العاقبة . ولا يبقى غير تيرسياس ، تيرسياس الذى يمثل هادم الأساطير ، والذى يشق الإهاب وينزع القناع الذى أعجب به الزمن القديم فى غرارته ، أجل تيرسياس وحده هو الذى يبقى سليط اللسان قارص الكلام ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة حتى النهاية .

والمحاولة ممتعة ، وليس هنالك ما يمنع الكاتب العصرى مقدماً من أن يستخدم لمراميه الخاصة تلك الخرافة التى استخدمها سوفوكليس لتصوير جبروت القدر وفزعات الإنسان الواقع فى حبائله ، يجاهد للفكاك على غير جدوى ، بل تفضى كل حركة من جهاده إلى توثيق الشباك وتوكيد انتصار القدر . ولكن ، أترى هذه الخرافة الخاصة كل الخصوص تقبل كما تقبل الكثيرات غيرها تعبيراً غير التعبير القديم ؟ إن المحاولات الفرنسية التسع والعشرين

التى أسلفنا الإشارة إليها تجيب — فيما يظهر — على هذا السؤال بالنفى . .

فهل ترى نجح توفيق الحكيم فى إقامة الدليل على أن خرافة أوديب يمكن تحويلها إلى مقاصد غير التى كانت ماثلة قيد نظر سوفوكليس حين كتب مأساته ؟

إن القارىء — والمتفرج فيما أرجو — قد يقضى بما يخالف رأيى. فأنا من ناحيتى أرى أن أوديب هذا الذى ولد على ضفاف النيل كأمثاله المولودين فى فرنسا لا يسلم من تناقض ، وذلك أن الخرافة هنا أقوى من المؤلف الذى يستخدمها . فلا غرو إذا كان توفيق الحكيم وقد توخى استخدام الموضوع القديم للتعبير عن أفكار نفسانية وسياسية لم يستطع — شأنه فى ذلك شأن فولتير وشأن جيد — أن يمنع مسألة القدر المحتوم من معاودة الظهور فى أكثر من موضع . فلقد بلغ من قوة هذه الخرافة أنها لا تدع لمن أراد استخدامها إلا النزر القليل من حرية التصرف . . وهذا الجانب من الحرية قد استخدمه المؤلف المصرى جهد ما فى المستطاع استخدامه ، وعلى نحو يطرب له كل من تشغله هذه المسألة التى عرضت لروما المتثقفة باليونانية ، كما تناولتها من بعدها أوروبا الناهضة ، ومازالت حتى اليوم ماثلة تشغل الأذهان ، وهى مشكلة من أعظم المشاكل وأصعبها : مشكلة محاكاة القديم .

ا . دى مارينياك

تعقيب

على المقدمة الفرنسية

عزيزى مسيو دى مار ينياك :

إن إخفاق ثلاثين مؤلفاً فى مختلف العصور ، منهم الوثنى والمسيحى ثم أخيرا المسلم ، أمام مأساة « أوديب » هو فى ذاته مأساة !.. وعلة هذا الاخفاق تحتاج هى أيضا إلى دراسة .. وعلى الرغم من الحيطة التى اتخذتها حتى لا أمس بسوء تراجيديا سوفوكل فى قوتها الدرامية ، فأن شيئاً قد فاتنا ، هو بلاريب ، فى غير متناول أيدينا .. ذلك راجع كما قلت انت إلى «موضوع أوديب نفسه ، وهو موضوع القدر القاسى المحتوم ، الذى لا اختيار فيه ولا مرد له ، يجثم بكل وطأة ثقله على امرىء من قبل ميلاده .. ، ها هنا سر القوة فى مأساة سوفوكل . من ارتضى هذه الفكرة ، ومضى بها لايلوى على شىء آخر ، فقد سلم إلى حد ما ، على شرطة أن يكون بها مؤمنا إيمان الأغريق الأقدمين . . ذلك ان كارثة المؤلف الذى يتصدى لأوديب هى انه لايريد أن يقبل هذه الفكرة ، أو يتخذها قاعدة لعمله . . فأن المسيحى المتدين لن يقبلها على صورتها العنيفة ، والمسيحى المتحرر لن يقبل غير الأنسان متحكما فى مصيره .. وكلهم مع ذلك لابد لهم من أن يواجهوا الخرافة فى قصة أوديب ، إذ بغير هذه الخرافة لاتوجد القصة على الأطلاق .. تلك الخرافة التى قضت

على أوديب من قبل ميلاده أن يتلقى ضربة القدر المحتومة .. وهكذا واجه المؤلفون هم أيضاً نوعاً من «أبى الهول» يقطع عليهم الطريق: هو ذلك «التناقض» الذى يتمعون فيه، كما تقول. فهم لا يستطيعون قبول الخرافة كما هى، ولا يستطيعون فى عين الوقت تناول قصة أوديب بغير الخرافة. . . أما فيما يتصل بى باعتبارى مسلماً، فأن عقيدتى الدينية ترفض فكرة الله المدبر لأذى الأنسان تدبيراً سابقاً دون مقتض أو جريرة .. بل إن فكرة التدبير السابق لما سينزل بالأنسان من أحداث، لا تجد قبولاً عند أهم الفلاسفة من المسلمين، فابن رشد يقول عن الله: «إنه مريد لكون الشىء فى وقت كونه، وغير مريد لكونه فى غير وقت كونه. فأما أن يقال إنه مريد للأمور المحدثة بأرادة قديمة فبدعة..» فأذا رجعنا إلى فقهاء الدين، وجدنا أن أبا حنيفة يرفض الانحياز إلى الجهمية وأصحاب المذهب الجبرى، ولا يسلم كذلك بأرادة الأنسان المطلقة، ولكنه يقف من هذه المشكلة العويصة الموقف الذى أردت أنا أن أتبعه فيه، عند تناولى «أوديب».. قال أبو حنيفة: «إنى أقول قولاً متوسطاً، لا جبر ولا تفويض ولا تسليط، والله تعالى لا يكلف العباد بما لا يطيقون، ولا أراد منهم ما لا يعملون، ولا عاقبهم بما لم يعملوا، ولا سألهم عما لم يعملوا، ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم، والله يعلم بما نحن فيه.»

هذه الحقائق عن الاسلام يبدو لى أنها مجهولة فى الغرب .. فالغربيون مازالوا يعتقدون ان فكرة القدر عند المسلمين مقبولة

على النحو الذى كان معروفاً عند قدماء اليونان الوثنيين .. ولقد عدت إلى معجم « فلاماريون » ثم إلى معجم « لاروس » أنقب تحت كلمة « قدر » .. فعجبت إذ وجدت هذين المعجمين ينصان على أن القدر المطلق المحتوم هو عقيدة اليونان والمسلمين .. وادركت من ورود كلمة « مكتوب » فى معجم فلاماريون أن هذه الفكرة الخاطئة دخلت أوروبا عن طريق التسرب العامى لا عن طريق التثبت العلمى..

إذا استبعدت هذه الفكرة الخاطئة الشائعة، واستحضرت قول أبى حنيفة « .. ولا عاقبهم بما لم يعملوا .. ولا رضى لهم بالخوض فيما ليس لهم به علم .. الخ ». فأن من السهل أن تفهم تصرف « أوديب » عندى .. فهو قد ترك كورنت باحثاً عن الحقيقة ، خائضاً فيما ليس له به علم .. فجرته رغبته فى العلم بالحقيقة إلى ماجره العلم الحديث على الأنسان الحديث ممثلاً فى « فرويد » عندما طفق يحفر فى أعماق الأنسان إلى أن وجد أنه عاشق فى الباطن لأمه !..

« فالموجب » لكارثة أوديب عندى لا يمكن أن يكون حقد الآلهة المنطوى على الكيد والشر .. ولا يمكن كذلك أن أكون قد أردت إسقاط المسألة .. لتعارضها مع عقيدتى .. ولكنى كما ترى قد جعلت الموجب للكارثة طبيعة أوديب ذاتها ،طبيعته المحبة للبحث فى أصول الأشياء ، الممعنة فى الجرى خلف الحقيقة ..

على أن كارثة أوديب لها عندى موجب آخر .. هو عمل

ترسياس ، وتدخله فى الأمور السائرة فى مجراها .. ان كثيرا من الانقلابات التاريخية والمحن البشرية يرجع فى أغلب الأحيان إلى إرادة رأس كبير وتمرد بصيرة عمياء .. إن هنالك شراكاً إلهيه بدون ريب ، قد نصبها الله .. لا لأنسان بعينه .. بل لأى انسان يخرج على النواميس .. شأنها شأن تلك الفخاخ التى ينصبها صاحب الحقل لاقتناص الثعالب التى تفسد الكروم .. إنه لا يقصد بها ثعلباً بالذات .. نعم ، إن الله يمكر ويسخر .. من الماكرين والعابثين .. متى يفعل ذلك ؟.. متى تكون السخرية الألهية ؟.. أكانت منذ الأزل ، حين وضع الله الناموس وجعل إلى جانبه مصيدة .. متوقعاً لها ضحية فى وقت من الأوقات ، لا يعنيه اسمها ولا شخصها ؟. أم أن المخالفة تقع أولاً ، فيطرح الأله بعدئذ على مرتكبها الشبكة فى حينها ؟.. هذا مجال ليس لنا أن نخوض فيه .. كل ما أردت أن أقول هو إن الصراع عندى فى أوديب لم يكن بين آلهة عتاة يبطشون ببرىء يتعقبونه لذاته .. ولكنه صراع بين إرادة الأله وإرادة الانسان.

على أن ذلك كله لا يخلينا من صعوبة المشكلة .. ولقد رأيت أنت جانباً واحداً من جوانب هذه الصعوبة .. هو محاولتى استخدام الخرافة القديمة التى لا تقبل فى صراحتها لبساً ولا غموضاً ، فى أغراض تتعارض مع صميم الخرافة .. ولكن هنالك جوانب أخرى من الصعوبة . منها اضطرارى إلى التعرض لمسألة الجبرية والقدرية .. فى حدود لا يمكن أن تتسع لها التراجيديا دون أن تفقد روعتها

الفنية .. وهى مسألة تحطمت على صخرتها أدمغة الفلاسفة وفقهاء الدين فى مختلف العقائد . وأنتقلت فى العصور الحديثة من ميدان الدين والفلسفة إلى ميدان العلم .. فقضية الجبرية والقدرية أصبحت اليوم قضية علماء البيولوجيا والطبيعة والكيمياء .. وانهم الآن ليتساءلون : إلى أى حد تكمن فى النطفه من صفات الوراثة مايجعل الأبناء مسيرين مجبرين مقيدين بصفات وشخصيات صنعت لهم صنعاً ؟.. وإلى أى مدى يعتبر الجسم الانسانى آلة دقيقة .. يسير كل شىء فيها بحساب مرقوم .. وفى اتجاه محتوم ؟ والخلاف فى ذلك شديد بين العلماء كما كان بين الفلاسفة .. على أن المعروف اليوم أن هنالك مقداراً من الجبر ومقداراً من الحرية يسيطران على تصرفات الأحياء والجمادات .. حتى فى عالم الغازات، يوجد شىء من الحرية والانفلات خارج نطاق قوانينها الصارمة .. ذلك أن وجود القانون يستلزم وجود الخروج على القانون .. وهذا يستلزم أيضاً نوعا من العقاب .. ليس فى اختلال النتائج وحدها .. بل فى إعادة الخلل إلى النظام .. ورد المتمرد إلى موضعه .. ففى كل ذرة أو خلية ناموسها وإلى جانب هذا الناموس شراكه الساخرة التى يقع فيها الخارج عليه فترده إلى مكانه من النظام العام .. كل هذا داخل ضمن القانون الأزلى الذى يسير عليه الكون ..

وروح الاسلام يتمشى مع هذه النظرة .. لذلك كان لابدلى أن أخضع قصة أوديب لهذا التفسير ، وإذا كنت قد لاحظت أنى

جردت أوديب من عظمته الأسطورية ، لأضفى عليه عظمة أخرى صادرة عن فضيلته البشرية .. فأن ذلك راجع أيضا إلى روح الدين الاسلامى الذى يفاخر بأن نبيه العظيم بشر .

كل هذه المقاصد لا توصلنا إلى شىء ، ما دمنا قد اخفقنا فى استخراجها من صميم الخرافة القديمة التى قامت عليها مأساة «أوديب». ولست أدرى إلى أى مدى كان اخفاقى أنا بالذات، بالنسبة إلى التسعة والعشرين السابقين ؟. ذلك أن مهمتى أعسر من مهمتهم.. فهم بحكم ثقافتهم اللاتينية واليونانية لايجدون هذا العمل غريباً عليهم ولا على آدابهم القائمة على آداب الأغريق واللاتين !.. فى حين أحاول أنا اليوم أن أرسى هذا الفن الجديد فى آدابنا العربية على قواعده اليونانية .. وهو العمل الذى كان يجب أن يصنع لدينا منذ قرون...

لقد أنفقت سنوات أربع فى هذه المحاولة . . أدرس بغير عجلة كل موقف وكل شخصية وكل قضية .. وأعنى بتفصيلات ودقائق تحتاج إلى تعليل جديد ، ترضاه عقولنا العربية الاسلامية . . هذا الوحى الذى ذهب اليه كريون فى معبد دلف ! . . كيف يستطيع أن يعلم بمقتل لايوس ؟ ! . ثم هذا الطعن الذى أنزله أوديب بعينيه ؟ . . أكان إمعانا فى الكبرياء كما ذهب « جيد » ؟ أم رغبة فى أن يبلغ أوديب أوج الشقاء كما بلغ أوج المجد . . كما ذهب « كوكتو » ؟.. فى رأيى أن ذلك كله من قبيل التفسيرات الأدبية الذهنية . . ولكن

أوديب عندى كان شديد التعلق بأسرته ، عميق الحب لجوكاستا . . وكانت فجيعته فيها وهو يراها على هذه الميتة البشعة أشد مما احتمل . . كانت لحظة جنون طارئة عصفت برأسه من غير شك ، فلم يشعر فيها بنفسه وهو يضرب عينيه ويصيح بالملكة : «لن أبكيك إلا بدموع من دم !..» هذا تفسير لم استطع أن أقبل غيره .. وسوفوكل لم يوضح لنا ذلك لأن الخرافة التى ارتكز عليها فى كل قوتها وعنفها .. تعفيه من أى إيضاح . . فشعور أوديب أنه تلقى هذه الضربة من الالهة العاتية ومن أبولون على الأخص ذلك الحاقد عليه . . جعله يرى الحادث لعنة حقيقية ، لم يجد لدفعها سبيلا إلا أن ينزل بنفسه تلك الفظاعة ، التى قد تستدر عطف السماء . . ولكن أوديب عندى لم يستطع التسليم لحظة بأن ما حدث أقوى من حبه لجوكاستا . . ما من شىء عنده أقوى من حبه لها . . فهو قد فعل بنفسه ما فعل من أجلها وحدها . .

وغير ذلك دقائق كثيرة وتفصيلات جمة ، يستطيع الباحث الدؤوب أن يستشف منها عقبات وصعوبات وقفت فى وجه كل من حاول التصدى لمأساة سوفوكل . .

وما اعتقد أن أحداً من هؤلاء . . مرت بخاطره برهة واحدة فكرة التحليق إلى مستوى انموذج اليونانى . . فأن كمال له الفنى يرجع . فضلا عن عبقرية سوفوكل ، إلى قوة الخرافة فى جوهرها الوثنى الأصيل ، وإيمان الشاعر بها ، واستخراجه كل المأساة

منها وحدها . . وما جادل أحد قط فى أن «أوديب» سوفوكل، بلغت من الكمال الفنى أوجاً ، هو مفخرة للذهن البشرى . . ولعل شكسبير أدرك ذلك بسليقته الفنية ، فلم يقربها على ما فى موضوعها من إغراء، وهو الذى استعار موضوعات آثاره من القصص الدانمركية والأيطالية واللاتينية واليونانية . . أتراه خشى أن ينازل سوفوكل فى عرينه ؟ لو أنه فعل . . لكان تاريخ الآداب الأوربية اليوم زاخراً بفصول لا تحصى فى وصف هذا النزال المخيف ! . .

إن محاكاة القديم هى مشكلة صعبة حقاً . . بل إنها تكاد تكون مستحيلة فى بعض الأحوال . . كما لو كنا نريد بعنب جديد أن نصنع للتو خمرة معتقة ! . . هنالك ولا شك سرّ خفى فى تركيب ذلك الخمر القديم يجعل له مذاقاً لا يضاهى . .

أما بعد . . فحسبنا أن حاولنا الصعب من الأمور . . ونحن نعلم كل العلم أن الذى ينتظرنا فى نهاية الطريق هو الإخفاق . . إن أجزل الأجر هو أحياناً العمل نفسه ، لا نتيجته . . وما أعظم الأجر الذى نلته والثمر الذى تساقط علىّ بمجرد مكثى بضع سنين فى ظلال تلك الشجرة القديمة ، الدائمة الأخضرار والأثمار : تراجيديا سوفوكليس ! . .

LI RY

DATE DUE

Shohdy 80/

DEC 1980